

تصدرها هيئة من مدرسي الجامعة الزيتونية

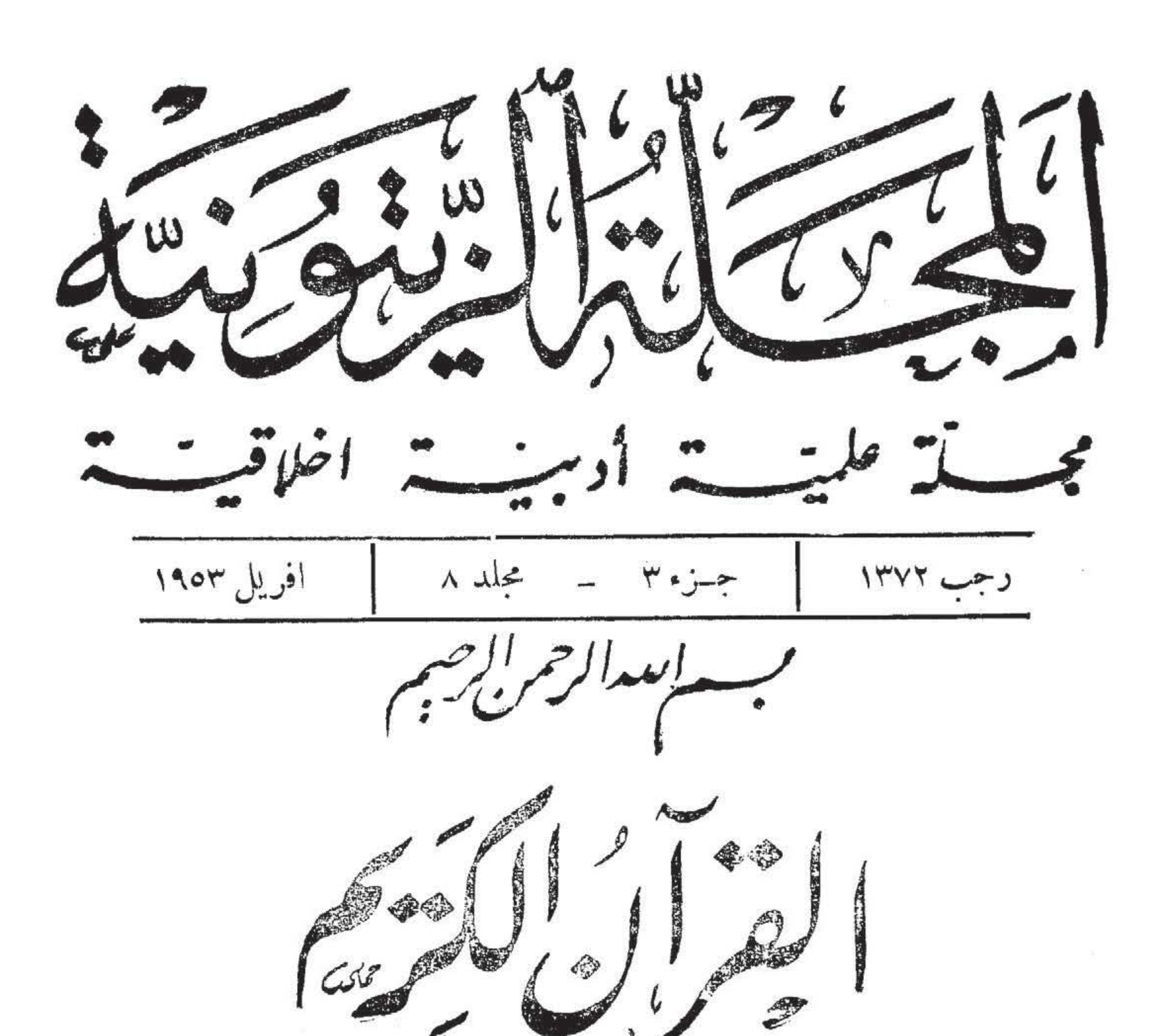
الجزء الثالث — المجلد الثامن

تونس

١٠٠

فهرس العدد

الجزء الثالث من المجلد الثامن



بقلم فضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم وفروعه

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحق مِنْ رَبِّهِم. وَأَمَّا الَّذِين
كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا

عطف الكلام المفصل على الكلام المجمل المقدر في قوله لا يستحي لان تقديره لا يستحيي من الناس كما تقدم ولما كان في الناس مومنون وكافرون وكلا الفريقين تلقى ذلك المثل واختلفت حالهم في الانتفاع به حصل اجمال في الكلام اقتضى تفصيل حالهم.

وانما عطف بالفاء لان التفصيل حاصل عقب الاجمال . واما حرف موضوع

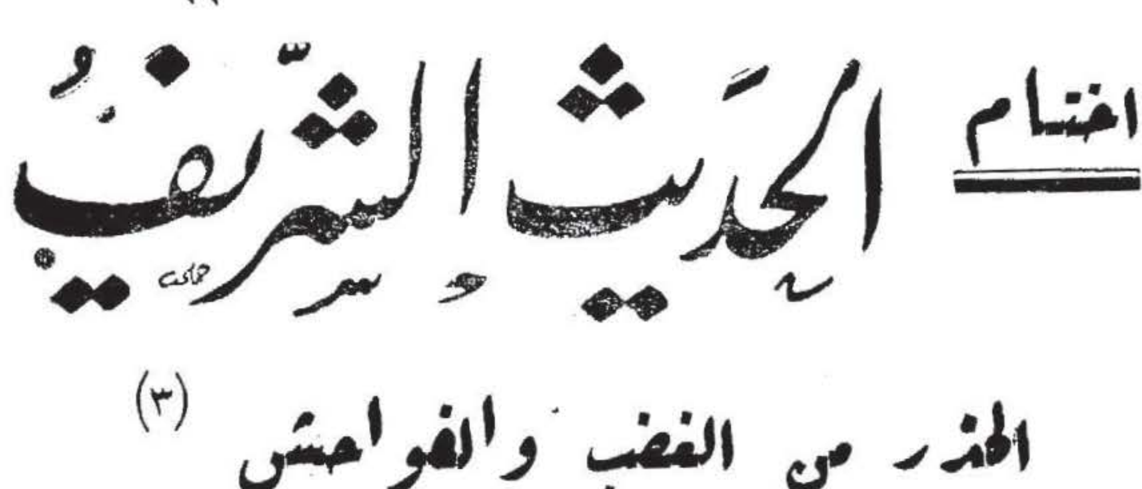
لتفصيل مجمل ملفوظ او مقدر ولما كان الاجمال يقتضي استشراف السامع لتفصيله كان التصدي لتفصيله بمنزلة فرض سؤال من المتكلم كانه يقول ان شئت تفصيله فتفصيله كيت وكيت فلذلك كانت اما متضمنة معنى الشرط كما ابانه الزمخشري وقد تخلو عن معنى التفصيل في خصوص قول العرب اما بعد فتتمحض للشرط وذلك في التحقيق لخفاء معنى التفصيل لانه مبني على ترقب السامع كلاما بعد كلامه الاول وقدرها سيبوية بمعنى مهما يكن من شيء وتلقفه اهل العربية بعد ، وهو عندي تقرير معنى لتصحيح دخول الفاء في جوابها وفي النفس منه شيء لان دعوى قصد عموم الشرط غير بينة

وجعل تفصيل الناس في هذه الآية قسمين لان الناس بالنسبة الى التشريع والتنزيل قسمان ابتداء مؤمن وكافر والمقصود من ذكر المؤمنين هنا الثناء عليهم بثبات ايمانهم وتايبس الذين ارادوا القاء الشك عليهم فيعلمون ان قلوبهم لا مدخل فيها لذلك الشك. والمراد بالذين كفروا هنا اما خصوص المشركين كما هو مصطلح القرآن غالبا وإما ما يشملهم ويشمل اليهود بناء على ما سلف في سبب نزول الآية . وانما عبر في جانب المؤمنين ليعلمون تعريض بان الكافرين انما قالوا ما قالوا عنادا او مكابرة وانهم يعلمون ان ذلك تمثيل أصاب المحز كيف وهم اهل اللسان وفرسان البيان ولكن شان المعاند المكابر ان يقول ما لا يعتقد حسداً وعناداً

وضمير انه عائد الى المثل (الحق) ترجع معانيه الى موافقة الشيء لما يحق ان يقع وهو هنا الموافق لاصابة الكلام وبلاغته فهو هنا ضد الخطا

(من ربهم) حال من الحق ومن ابتدائيه اي وارد من الله لا كما زعم الذين كفروا انه مخالف للصواب وهو مؤذن بانه من كلام من يقع منه الخطاء

واصل ماذا كلمة مركبة من ما الاستفهاميه وذا اسم الاشارة ولذلك كان اصلها ان يسال بها عن شيء مشار اليه كقول القايل ماذا مشيرا الى شيء حاضر بمنزلة قوله ما هذا . غير ان العرب توسعوا فيه فاستعملوه اسم استفهام مركبا من كلمتين وذلك حيث يكون المشار اليه معبراً عنه بلفظ آخر غير الاشارة حتى تصير الاشارة اليه مع التعبير عنه بلفظ آخر لمجرد التاكيد نحو ماذا التواني او حيث لا يكون للاشارة وقع نحو وماذا عليهم لو آمنوا بالله ولذلك يقول النحاة ان ذا ملغاة في مثل هذا



الحذر من الغضب والفواحش (٣)

بقلم المنعم الشيخ محمد ابن القاضي نائب الدولة لدى النظارة العلمية كان

مطابقة الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب للترجمة وهي قول البخاري باب الحذر من الغضب من حيث ان فيه الاغراء على الحذر من الغضب .

قال في الارشاد الصرعة بضم المهملة وفتح الراء من ابنية المبالغة وكل ما جاء بهذا الوزن بالضم والفتح كهمزة ولمزة وضحكة وحفظة والمراد بالصرعة من يصرع الناس كثيرا بقوته فنقل للذي يملك نفسه عند الغضب فانه اذا ملكها كان قد قهر أقوى اعدائه وشر خصومه ولذا قيل اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك

وفي حديث ابن مسعود عند مسلم مرفوعا ما تعدون الصرعة فيكم قالوا الذي لا يصرعه الرجال ـ قال ليس بذلك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب وعند البزار

التركيب وقد يتوسعون فيها توسعا اقوى فيجعلون ذا اسم موصول وذلك حين يكون المسؤول عنه معروفا للمخاطب بشيء من احواله فلذلك يجرون عليه جملة او نحوها هي صلة ويجعلون ذا موصولا نحو قوله تعالى ماذا انزل ربكم وعلى هذين الاحتمالين الاخيرين يصح اعرابه مبتدا ويصح اعرابه مفعولا مقدما اذا وقع بعده فعل

والاستفهام هنا انكاري . والاشارة بقوله « بهذا » مفيدة للتحقير بقرينة المقام كقوله تعالى (اهذا الذي يذكر آلهتكم)

وانتصب قوله « مثلا » على التمييز من هذا لانه مبهم كما انتصب من التمييز الضمير في قولهم ربه رجلا

بسند حسن عن انس رضي الله عنه ان النبيء صلى الله عليه وسلم مر بقوم يصرعون فقال ما هذا قالوا فلان ما يصارع احدا الاصرعه قال افلا ادلكم على من هو اشد منه رجلا كظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه

قال حجة الاسلام الغزالي قال يحي لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والحمية . ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب . فلا بد من ازالتها باضدادها حتى تحصل السلامة منه ومن ءاثاره القبيحه التي تشمئز منها كل النفوس الكريمة فمن ءاثاره في الظاهر تغير اللون وشد الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولورأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لكمن غضبه حياء . ومن ءاثاره في اللسان انطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ويستحي منه قائله عند فتور الغضب ومن ءاثاره على الاعضاء الضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض ويكسر المائده اذا غضب عليها ويشتم البهيمة ويخاطبها كانه يخاطب عاقلا . ومن ءاثاره في القلب الحسد والحقد والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر وهذه بعض ثمرات الغضب الذي حذرت الشريعة منه وحثت على اجتنابه

وفي اعلام الموقعين لابن قيم الجوزيه ان من لطف الله سبحانه وتعالى انه لم يؤاخذنا بما يقع عنده ومن هذا قوله تعالى (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم) قال السلف هو دعاء الانسان على نفسه وولده واهله في حال الغضب ولو استجاب الله تعالى لاهلكه واهلك من يدعو عليه ولكنه لا يستجيبه لعلمه بان الداعي لم يقصد . ومن هذا رفعه صلى الله عليه وسلم حكم الطلاق عمن طلق في اغلاق . قال الامام احمد هو الغضب وبذلك فسره ابو داود وهو قول القاضي اسماعيل بن اسحاق من ايمة المالكية . وكذا فسر مسروق والشافعي لاطلاق في اغلاق بالغضب قال الحافظ ابن القيم فهذا مسروق والشافعي واحمد وابو داود والقاضي

اسماعيل كلهم فسروا الاغلاق بالغضب وهو من احسن التفسير لان الغضبان قد اغلق عليه باب القصد بشدة غضبه وقد الف رسالة في طلاق الغضبان قال فيها انه ثلاثة اقسام احدها ان يحصل له مبادي الغضب بحيث لا يتغير عقله ويعلم ما يقول ويقصده وهذا لا اشكال فيه . الثاني ان يبلغ النهاية فلا يعلم ما يقول ولا يريده فهذا لا ريب انه لا ينفذ شيء من اقواله . الثالث من توسط بين المرتبتين بحيث لم يصر كالمجنون فهذا محل النظر والادلة على عدم نفوذ اقواله .

قلت نمنع ان الادلة تدل على عدم نفوذ اقواله اذا لم يصر كالمجنون بحيث قد اغلق عليه باب القصد بشدة غضبه وهو المعبر عنه في مذهبنا بالمدهوش .

قال فقهاؤنا لا يعتبر طلاق الغضبان اذا غلب عليه الهذيان واختلط جده بهزله وغلب الخلل في اقواله وافعاله الخارجة عن عادته اما مجرد تحقق الغضب فلا يمنع وقوع الطلاق بل قلما يفارق الغضب الطلاق . نعم وقع الخلاف في انه هل يشترط ان يكون غير عالم بما يقول والصحيح انه لا يشترط ذلك فان بعض المجانين يعلم ما يقول ويذكر ما يشهد الجاهل به بانه عاقل ثم يظهر منه في مجلسه ما ينافيه .

فان قيل قد ثبت في الاصول ان شرط التكليف او سببه القدرة على المكلف به فما لا قدرة المكلف عليه لا يصح التكليف به شرعا وان جاز عقلا والغضب امر طبيعي لا يزول من الجبلة فكيف ينهى عنه ويحذر منه . فالجواب عن ذلك من وجهين الوجه الاول نمنع ان الغضب امر طبيعي لا يزول من الجبلة بل يمكن ان تخلق الانسان بالحلم ويتكلف له حتى يصير له سجية وملكة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا شج عبد القيس ان فيك لخلقين يحبهما الله الحلم والاناة فقال اخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما فقال بل جبلك الله عليهما. فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله فدل على ان من الخلق ما هو طبيعة وجبلة وما هو مكتسب .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عن سيئها الا انت فذكر الكسب والقدر .

الوجه الثاني نسلم ان الغضب طبيعي ودفعه ليس داخلا تحت الكسب لكن التحقيق ان النهي في مثل ذلك راجع الى سوابقه ولواحقه لا لذاته .

قال ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات الذي يتعلق به الطلب ظاهرا من الانسان على ثلاثة اقسام أحدها ما لم يكن داخلا تحت كسبه قطعا وهذا قليل كقوله تعالى (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) وحكمه ان الطلب به مصروف الى ما تعلق به وهو الاسلام

والثاني ما كان داخلا تحت كسبه قطعا وذلك جمهور الافعال المكلف بها التي هي داخلة تحت كسبه والطلب المتعلق بها على حقيقته في صحة التكليف بها سواء علينا أكانت مطلوبة لنفسها ام لغيرها .

الثالث ما قد يشتبه امره كالحب والبغض وما في معناها فحق الناظر فيها ان ينظر في حقائقها فحيث ثبت له من القسمين حكم عليه بحكمه .

والذي يظهر من امر الحب والبغض والشجاعة والغضب والخوف ونحوها انها داخلة على الانسان اضطرارا اما لانها من اصل الخلقة فلا يطلب الا بتوابعها فان مافي فطرة الانسان من الاوصاف يتبعها فلا بدا افعال اكتسابية وحينئذ فالطلب وارد على تلك الافعال لا على ما نشئت عنه ح لا تدخل القدرة ولا العجز تحت الطلب . واما لان لها باعثا من غيره فتثور فيه فيقتضي لذلك افعالا اخر فان كان المثير لها هو السابق وكان مما يدخل تحت كسبه فالطلب يرد عليه كقوله عليه السلام تهادوا تحابوا فيكون قوله احبوا الله لما إسدى اليكم من نعمة مراد به التوجه الى النظر في نعم الله تعالى على العبد وكثرة احسانه اليه وكنهيه عن النظر المثير للشهوة الداعية الى ما لا يحل وعين الشهوة لم ينه عنه وان لم يكن المثير لها داخلا تحت كسبه فالطلب يرد على اللواحق كالغضب المثير لشهوة الانتقام كما يثير النظر شهوة الوقاع .

التشريع الاسلامي

حاجة البشر الى الشرايع (٢)

بقلم العلامة الشيخ محمد الهادي ابن القاضي المفتي الحنفي بالديار التونسية

واذ قد تبينت حاجة الخلق الى الشرائع بوجه عام فلا جرم كانت الشريعة الاسلامية وهي خاتمة تلك الشرائع أكمل تلك الشرائع وأعمها نفعا وأشملها نظرا وامسها بالحياة الفردية والاجتماعية من جميع نواحيها ولذلك نجدها دخلت في جميع مرافق الحياة العامه ووضعت القوانين والاسس لكل ما يصلح به البشر في شؤونهم الخاصة وشؤونهم الخاصة والعامة فهي دين وقضاء ومعاملات واخلاق

فاما من ناحية العقائد والعبادات فاحكامهما دينية لا تقبل التاويل ولا التبديل والتغيير ولا تتبع في ذلك عرفا ولا عادة ولا اي مؤثر آخر

واما من ناحية الاخلاق فانها تقرر من ذلك مايتفق مع السنن الفطرية والاصول المرتكزة في الخلقة

واما من ناحية القضاء والمعاملات فهي تتبع في ذلك قاعدة التيسير على الخلق وازاله التعسير عنهم ودفع الضرر وارتكاب اهون الشرين وتحكيم العادات الحسنه ومراعاة الاصلح . وبعبارة اشمل وأعم جلب المنافع ودرء المفاسد ومن ثم اتسعت انظار الفقهاء في التشريع وتقرير الاحكام خصوصا فيما لا نص فيه عن الشارع

وجاز لنا في هذا المقام ان نوجه سؤالا مهما وهو :

هل تاثر الفقهاء في تقرير انظارهم الاجتهادية واحكامهم الفقهية بالتشريع الموجود عند بقية الامم وبخاصه بتشريع القانون الروماني ؟

ونقول اما بالنسبة للاصول والاحكام المنصوصة وهي الاحكام الوارده عن الشارع باعيانها فلا مجال لورود هذا السؤال في حقها لان الشارع وهو الله تعالى قد اعطى لها احكاما وجعلها اصولا وهو غير محتاج في تقرير احكامها الى اخذ ذلك من قانون امة من امم اللهم الا ان يحصل امر اتفاقي غير مقصود وهذا مما لا مجال للبحث فيه بعد تسليم ان اصول الشريعة الاسلامية من كتاب ومنه امور سماوية آلهية

ويبقى النظر في بقية الاحكام الاجتهادية وهي التي استنبط الفقهاء احكامها بطريق الاجتهاد والنظر في الادلة . فهل لهاته الاحكام علاقة بالقانون الروماني اولا بمعنى ان الفقهاء هل تاثروا بذلك القانون في تحرير ما استنبطوه من الاحكام اوانهم لم ينظروا فيه اصلا وان اجتهادهم ونظرهم كان مقصورا على تلك الاصول المنزلة وما فهموه منها بحيث ان عامة احكامهم مستخرج من تلك الاصول حسبما فهموه من مقاصدها ووضعوه ميزانا وقسطاسا يزنون به كل ما يعرض لهم من مختلف الصور والجزئيات

ان هذا الموضوع دقيق شائك حصل فيه خلاف كبير بين الباحثين المتاخرين من غربيين وشرقيين فمنهم من ذهب الى ان الفقه الاسلامي وهو اسم لجميع الاحكام الفقهية اجتهادية ومنصوصة تاثر بالقانون الروماني وهو مذهب كثير من الغربيين المستشرقين وهؤلاء لم يدرسوا الفقه الاسلامي درسا عميقا بل اقتنعوا بدراسات سطحية لا تعد كافية من الناحية العلمية .

ومن العلماء من ذهب الى ان الفقه الاسلامي لم يتاثر بالقانون الروماني اصلا ونفى اصل العلاقة وهو الحق الذي يثبته البحث العلمي والتجرد عن التعصب الممقوت ، وانه يجب لدحض جميع الحجج التي تذرع بها من يقول بتاثر الفقه الاسلامي بالقانون الروماني ان ننظر في هاته الحجج وهي تنحصر في الامرين الآتيين .

اولا : الشبه الموجود او المدعى وجوده بين التشريعين في بعض الاحكام .

ثانيا : تاثير العادات في البلاد المفتوحة على توجيه الفقه الاسلامي

وان البحث في قيمة هذه الحجج يثير التدقيق في المسائل التالية

١ ـ هل ان الشبه المدعى يستحق الاهتمام او انه طفيف لا يذكر بالنسبة للفروق

٢ ـ هل ان مجرد الشبه يكفي للدلالة على الاقتباس

٣ ـ ماذا كان موقف الفقهاء المسلمين من القانون الروماني ؟

٤ ـ ما هي علاقة عادات الرومان في البلاد المفتوحة بهذا الموضوع ؟

مقدار الشبه بين التشريعين

قال احد المستشرقين وهو فون كريمن ان مواضيع الشبه بين الشرع الاسلامي والقانون الروماني عديدةواهمها قاعدة البينة على المدعي. وسن البلوغ والرشد ٠ وبعض احكام المعاملات التجارية كالاجارة والبيـع

اما قاعدة البينة على المدعي اي قاعدة وضع عبء الاثبات على المدعي لدى القضاء فانها تستند في الشريعة الاسلامية الى حديث البينة على المدعي واليمين على من انكر ومعلوم ان الحديث اقدم تاريخا من الفتوحات الاسلامية في البلاد التى كانت خاضعة للحكم الروماني ومن هنا لا يمكن ان يكون مقتبسا من ذلك التشريع

واما سن البلوغ والرشد فليس في التشريعين شبه جلي فيه فعند الرومان كان البلوغ محددا بتمام السنة الثانيةعشرة للفتاة وتمام الرابعة عشرة للفتى وفي الفقه الاسلامي نجد الرأي السائد اعتبر منتهى سن البلوغ هو خمس عشرة سنة

واما التشابه في عقدي البيع والاجارة فانه تشابه غير تام (يتبع)

الحق يعلو - ٢ -

شهادة علماء اروبا في الاسلام

بقلم المنعم امير الامراء علي عبد الوهاب

قال الحكيم الفرنساوي قوسطاف لو ون وهو العالم الاقتصادي الطائر الصيت في جواب له طويل الذيل عن سؤال كانت القته عليه مجلة « الاجتهاد » التركية للاستعلام عن اسباب سقوط المسلمين والوسائل التي يجب اتخاذها لاسترجاع مجدهم الاثيل وفي خاتمة جوابه المومى اليه قال :

« والذي يظهر لي اني لوكنت امير المؤمنين لصيرت الاسلام اول دين بالكرة الارضية
« فابتدىء اولا بجمع العلماء وابين لهم ان الاديان الاخرى غير مقبولة للعقل السليم
« وان الاساس للدين الاسلامي بسيط جدا وهو هذا :
« لا إله الا الله وان محمدا - صلى الله عليه وسلم - هو الذي اتانا بهذه الحقيقة »
« ولا يوجد في هذه العريضة ما يصادم او يخالف علوم العصر الحالي . »اهـ
« وهذا العالم بوشت سمت الاستاذ بكلية اكسفورد الانقليزية يقول في كتابه
« محمد والدين المحمدي »:
« بفرصة لا مثيل لها في التاريخ تمكن محمد - صلى الله عليه وسلم - من اقامة دين
« واحداث امة وتأسيس سلطنة ورغما على اميته فقد اتى بكتاب هو في آن واحد
« دستور شريعة ومجموع صلوات وادعية وديوان حكمة ككتاب يقدسه الى يومنا هذا
« السدس من سكان المعمورة لكونه آية اعجاز في البلاغه والحكمة وهو المعجزة
« الوحيدة التي قام بها محمد - صلى الله عليه وسلم - معجزته المستمرة طلما كان يسميها
« وهي لعمري معجزة باهرة دامغة ولكن اذا اعتبرت ظروف واحوال ذلك العهد
« والاحترام الغير محدود الذي كان لاصحابه نحوه وان جعلت المقايسة بينه وبين
« الحواريين او صلحاء القرون الوسطى فاني ارى ان اغرب شيء في حياة محمد -
« صلى الله عليه وسلم - هو انه لم يقم أبدا بدعوى مقدرته على الاتيان بخوارق
« العادات والحال انه لو ادعى شيئا من ذلك لصدقه حالا متبعوه وهؤلاء لم يتمالكوا
« أن نسبوا اليه حركات غريبة لم تصدر منه وامتنع هو من الاتيان بها ولآخر حياته

« لم يطلب لنفسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقبا ءاخر سوى الذي اتصف به من بدء
« امره اي رسول الله هذا واني مصمم الاعتقاد انه سيأتي يوم تتفق فيه عليه
« الفلاسفة وزعماء النصرانية الحقة على ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيء وان الله
« بعثه حقا . » اه

ومن كتاب « محمد والقرءان » الذي الفه العالم السويسري م . جان سبيرو استاذ العربية بكلية لوزان قال في ءاخر التأليف المذكور :

« وقبل أن نختم الكلام على حياة هذا الرجل العظيم الذي بلغت سيرته غاية الشرف
« ومنتهى النزاهة من الاغراض فلنقل اننا لا نقدر ان ننكر مثلما نود ان محمدا صلى
« الله عليه وسلم ـ كان نبيئا وان هنالك قوة خفية كانت تحمله على ان ينشر حوله
« ما كان يملا قلبه من الايمان .
« ولو لم يكن مخلصا في دعواه ومعتقدا تمام الاعتقاد بالحقيقة التي كان يبديها لما امكنه
« الاقدام على توعد الكاذبين والمنافقين بعذاب من الله شديد لو لم يكن مخلصا لما تجرأ
« على التصريح بغاية الشدة بانه يكون مقصرا بل مجرما اذا لم يبلغ ما اوحي اليه (يا
« ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) (قل انى امرت
« ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي
« عذاب يوم عظيم)
« لو كان كاذبا لما تعلق به رجال ذووا همم واخلاق عالية مثل ابي بكر وعلي وعمر
« والحال انهم كانوا من اشرف بيوتات مكة المكرمة كلا ولكن لشدة محبتهم له ولاستئناقتهم
« اياه تركوا عائلاتهم ونبذوا معتقداتهم وعوائدهم القديمة وصاروا احرص انصار لدين
« لم يكن انخرط فيه اذ ذاك الا الضعفاء والفقراء والعبيد والموالي .
« وها انا بكل ما لدي من التحقق واليقين اقدم على التصريح بهذا القول الجازم القاطع ـ
« انه مهما زاد الانسان اطلاعا على سيرة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا بكتب
« اعدائه وشانئيه بل بتآليف معاصريه وبالكتاب والسنة الا وادرك اسباب اعجاب
« الملايين من البشر في الماضي وحتى الان بهذا الرجل ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفهم
« علة تفانيهم في محبته وتعظيمه » اه

قال جونس اوركس الانقليزي في كتابه المسمى « البحث عن الشعر الذهبي » :
لم نعلم ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ « تسربل باية رذيلة مدة حياته . » اه

* نسخة فريدة من كتاب مجهول - ٢ -

بقلم الاستاذ الفاضل بن عاشور

وابن حزم يكنى ابا محمد كما يكنى مؤلف الكتاب وكذلك يكني نفسه في اوائل المباحث في كتاب المحلّى .

فهذه ثلاثة ادلة (الظاهرية والكنية وانكار القياس مطلقا) على ان مؤلف الكتاب هو ابن حزم .

والدليل الرابع انه ذكر في الكتاب مرتين كتاب كبير لنفس المؤلف يحيل عليه في المباحث المبسوطة وقد سماه كتاب الايصال وهذا الكتاب منسوب لابن حزم في جميع مصادر ترجمتنا (١) وموضوعه متلاق مع المباحث التي احيل في بسطها عليه .

والدليل الخامس وهو اوضحها ان المؤلف قد ذكر اسانيده في رواية احاديث وردت في اثناء المجادلات فكانت جملة اسماء الشيوخ الذين ذكرهم ستة وجميعهم قد اثبت لنا البحث انهم شيوخ ابن حزم :

روي اكثر من عشرين مرة عن محمد بن سعيد بن نبات وقد ذكر مرتضى في تاج العروس ج ١ ص ٥٩٠ انه من شيوخ ابن حزم وروي عنه ابن حزم في المحلّى بكثرة.

وروي مرتين عن يونس بن عبد الله وهو القاضي المشهور بابن مغيث الصفار توفي سنه ٤٤٢ ذكره ابن بشكوال (٢) في ترجمة ابن حزم واثبت انه من شيوخه وترجمه .

وروي مرتين كذلك عن عبد الله بن ربيع وهو القاضي ابو محمد ابن بنوش توفي سنة ٤١٥ ذكر ابن بشكوال في ترجمة ابن حزم انه يروي عنه وقد روى عنه في المحلّى (ترجمته ص ٢٠٦ صلة ابن بشكوال)

وروى مرتين عن يوسف بن عبد الله النمري وهو القاضي الحافظ ابو عمر بن عبد البر توفي سنة ٤٦٣ (ترجمته ص ٦١٦ صلة) ذكر عياض في ترجمته في المدارك (٣) ان ابن حزم تلميذه

(١) انظر معجم الادباء لياقوت ص ٢٥٢ ج ١٢ ط دار المامون مصر (٢) الصلة ط قديرة بمجريط ص ٤٠٨ وص ٦٢٤ (٣) الجزء الرابع مخطوط المكتبة العاشورية

* تتمة البحث المنشور في الجزء الاول من هذا المجلد (ص ٢٣)

وروي مرتين ايضا عن احمد بن محمد الطلمنكي وهو الحافظ ابو عمر توفي سنة ٤٢٩ (ترجمته ص ٤٧ صلة) وقد روى عن ابن حزم في كتاب المحلى (١)

وروى مرة واحدة عن احمد بن عمر بن انس العذري وهو ابن الدلائي توفي سنة ٤٧٨ ترجمه ابن بشكوال (ص ٤٧ صلة) وذكر ان ابن حزم روى عنه

والدليل السادس ان طريقة ابن حزم الجدلية العنيفة التي عرفناها في كتبه مثل المحلى والفصل هي عين طريقة الكتاب فقد ملئى جراءة وبذاءة يحققان ما اشتهر في الكلمة الشائعة « لسان ابن حزم وسيف الحجاج قرينان » حتى ان الافعال التي يعبر بها في الكتاب هي عين الافعال التي يعبر بها في المحلى عما يتمسك به خصومه من الادلة مثل عبارتي « التشغيب » و « التمويه » الذين يروجان على قلمه كثيرا

والدليل السابع هو ان في الكتاب من الجهة العلمية نقط ضعف تتناسب مع ما اشتهر عن ابن حزم من قلة التحري في النقل والعمد الى ابراز مذهب الخصم وحجته في صورة محرفة عن اصلها تقريبا لنقضها وافسادها فقد ذكر ابوبكر ابن العربي في كتاب العواصم (٢) ان ابن حزم « يقول على العلماء ما لم يقولوا تنفيرا للقلوب عنهم وتشنيعا عليهم » وذلك يدل على ان الذين كانوا يحيطون به ويتلقون عنه اماليه وكتبه ابتداء كانوا من ذوي المنازل العلمية الضئيلة الذين لا يعرفون حجج المذاهب عن تحقيق وذلك ما شهد به ابن العربي ايضا على ابن حزم حين قال : « وجد بين جماعة يعرفون المسائل ويجهلون الادلة فكان يغرب عليهم بجهالته » ويؤيده قول ياقوت في شانه (٣) « يبث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده من عامة المقتبسين منهم من اصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة . »

وما في القطعة التي بين أيدينا من ذلك شواهد ناطقة بهذا النقص فالمؤلف ينقل عن المذهب الحنفي فروعا كذلك هي فيه ويورد في حكاية ادلة الحنفية جزء الدليل او توجيه الدليل على انه كله او عينه وطالما يهمل في سوق الدليل ما اقترن به من تخصيص او تقييد او بيان وحين يناقش متسائلا عن قياس لم يعملوه او حديث لم ياخذوا به يكاد

(١) ص ٢ ج ٢ مصر ١٣٤٧ نشر الشيخ شاكر (٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل ط مصر ١٣١٧ (٣) ارشاد الاريب ص ٢٥٢ ج ١٢ طبع دار المامون

يوهم ان لا دليل يتمسكون به غيره مع ان دليلهم على ذلك مع بيان وجه عدولهم عن الدليل المناقش به مبسوط في كتب المذهب الحنفي وخاصة كتب الطحاوي التي يهتم المؤلف بتتبعها وربما ناقشهم باصول ليست مسلمة عندهم وقواعد لا يقولون بها كما وقع له في ختام الفصل الحادي عشر اذ اراد ان يقدح في قياس تخلف العلة مع ان الحنفية لا يرون تخلف العلة قادحا في القياس كما هو مقرر في اصول الفقه

وبهذا كله يثبت ان الكتاب من تاليف ابن حزم وانه على ما في موضوعه من ضعف ــ اثر نفيس من آثار القرن الخامس يصور لنا موقفا من مواقف الظاهرية وهم يحامون دون شبح التقهقر الذي هدد مذهبهم في ذلك القرن وتمكن منه في الايام الاخيرة من حياة ابن حزم فازداد بذلك حدة على حدته لما حدثته نفسه بان مذهب الظاهرية قد مالت شمسه الى رؤوس النخيل وذلك ما لم تلبث الايام ان صدقته

ويمتاز هذا الكتاب عن غيره من كتب ابن حزم المعروفة مثل كتاب المحلّى بانه مبني على الجدل والمناقضة لا على الاثبات والاحتجاج كما بني المحلّى وان تلاقى معه في كثير من مسائله

كما يمتاز عن اغلب كتب الجدل المذهبي بان ترتيبه مبني على ابواب الاصول لا على ابواب الفقه الفرعي

ولا نعرف من هذا الكتاب غير القطعة التي تحدثنا عنها كما انا لا نعرف له في كتب ابن حزم ذكرا فكتب ابن حزم كثيرة جدا حتى عد اكثر المؤلفين في الاسلام (١) والمجهول منها اكثر من المعروف بسبب ما اصابه واصابها من المحن فلم يثبت جريدة اسماء كتبه كاملة اي واحد من مترجميه الذين بين ايدينا. وهو غير الكتاب الموجود في مكتبة غوطا الذي لخصه جولد زيهر (٢) الا ان تكون تلك الرسالة جزءا من المباحث الاولى لهذا الكتاب وهي التي تعوزنا

فالنسخة الوحيدة من هذا الكتاب في ما عرفنا هي التي بين ايدينا هذه القطعة منها وهي الآن من محتويات مكتبتنا العائلية تم نسخها بمصر سنة ٧٨١ احدى وثمانين وسبعمائة وقد كتب في آخر النسخة اسم كاتبها بالعبارة الآتية : « علق هذا الجزء لنفسه

---

(١) ياقوت ص ٢٣٩ ج ١٣ (٢) كتاب بالالمانية في تاريخ الظاهرية ط ليبسك ١٨٨٤

العبد الفقير الى رحمة الله تعلى محمد بن ابراهيم بن محمد الدمشقي الاصل الشهير بالبدر البشتكي لطف الله تعلى به وعفى عنه في شهر رجب ٧٨١ وحسبنا الله ونعم الوكيل

وهذا الكاتب هو احد مشاهير العلماء والادباء والشعراء بمصر توفي سنة ٨٣٠ (١) وهو الذي اختصر كتاب الاحاطة لابن الخطيب في الكتاب الذي سماه مركز الاحاطة (المطبوع بمصر باسم الاحاطة ومنسوب لابن الخطيب) وكان الى جنب علمه وادبه من مشاهير الخطاطين الذين نسخوا كتبا كثيرة وكانت الرغبة متوفرة على الكتب المنسوخة بخطه وقد وصف السخاوي خطه وصفا ينطبق على كتابة هذه النسخة وفي مكتبتنا ايضا نسخة بخطه من الديوان الكبير لابن نباتة تتطابق مع النسخة التي هي موضوعنا خطا ومسطرة وقالبا وتجليدا .

ولكن يظهر ان نسخ البشتكي لكتاب ابن حزم لم يكن بوصفه خطاطا ولكنه كان لعناية خاصة بالكتاب ورغبة شخصية فيه كما يدل على ذلك بقوله « علقه لنفسه » ولهذه العناية اسباب يكمل بها ما تمثل في تاليف هذا الكتاب مما يرجع الى حياة مذهب الظاهرية

فان هذا المذهب بعد انقطاعه في القرن الخامس قد كانت له رجعات في فترات متقطعة عطفت عليه كثيرا من اهل العلم ـ ولا سيما بعد ظهور ابن تيمية في القرن السابع ـ وجعلتهم يميلون الى احياء اقوال ابن حزم البائدة ويتعلقون بما يجدون من كتبه النادرة تعلقهم بالاثار العزيزة المباركة

ولقد كان الناسخ من هؤلاء حتى اشتهر بلقب الظاهري (٢) كما اشتهر به ابن حزم وكان ميالا لمذهب ابن حزم غالبا عليه حبه حتى امتحن بسبب ذلك (٣) فكان نسخه لهذا الكتاب اية من ايات الاعتناء والاقبال الذي كان له على ابن حزم وكتبه كما كانت مطالعة المطالعين في هذه النسخة متاثرة بهذا الميل وآية اعتناء خاص بابن حزم وكتبه وافكاره فقد كتب في آخر هذا الجزء بخط تمنيق ما نصه : « طالع هذا

---

(١) انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ص ٢٧٧ ج ٦ ط مصر ١٣٠٤ وفي تاج العروس للزبيدي ص ١١٠ ج ٧ (٢) الضوء اللامع (٣) تاج العروس

الجزء جميعه ابو الفضل احمد بن علي العسقلاني لطف الله به ٧٩١ .» وهذا هو شيخ الاسلام ابن حجر كبير رجال الحديث في القرن التاسع وهو وان كان شافعيا فانه ميال الى الاثر والى تتبع الاقوال الفقهية المستنبطة من الحديث نزاعا الى الوقوف على مدارك الخلاف المذهبي حريصا على الانصاف في التفقه بعيدا عن التعصب المذهبي كما يتضح ذلك في شرحه العظيم الواسع على صحيح البخاري.

وقد كان اتصال ابن حجر بالبشتكي ناسخ الكتاب اتصالا عظيما جدا فكانت مطالعته في الكتاب وكتابته عليه مظهرا لهذه الصلة وعلامة على ما كان يجمع بينهما من الابتهاج بالتحصيل على هذه النسخة وان اختلفت الغايتان من ذلك .

وتحت خط ابن حجر هذه العبارة : « هو شيخنا شيخ الاسلام ابن حجر » مكتوبة بخط نسخي وبالخط نفسه في الطرف الآخر من الصفحة : « الحمد لله على التوفيق سنة ٨٢٦ .» ولا يبعد ان يكون كاتب ذلك هو مؤرخ القرن التاسع السخاوي الذي كان يلتزم التعبير عن ابن حجر بكلمة شيخنا .

فتلك هي قصة مذهب الظاهرية قد تمثلت كلها في هذه النسخة من ظروف الازدهار والانطفاء التي اتصلت باسباب التأليف الى ظروف الانبعاثات التي تمثلت في دواعي التخطيط والمطالعة .



لغويات

تصحيح اخطاء وتحاريف في

طبعة جمهرة الانساب لابن حزم (٢)

بقلم العلامة المحقق الاستاذ الاكبر الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع وفروعه

ص ١٦٦ س ١٣ « الخلج » ضبط بفتح فسكون وهو خطا والصواب بضمتين كما في القاموس

ص ١٦٦ س ١٣ كتب « ادعوا الى الضرب بن عبد الله بن الحارث بن فهر » والصواب « ادعوا الى الحارث بن فهر » كما في تاج العروس عن الصحاح والروض الانف وكما في صفحة ١٦٧ من الجمهرة

ص ١٧١ س ٢ . ٣ الملوح ضبط بكسر الواو والصواب انه بفتحة على الواو كما في القاموس والتاج

ص ١٧٥ س ١٠ . ١٦ ونعلبة رسم بمثلثه فعين فموحدة وكذلك رسم في النسخة التونسية وهو خطا والصواب انه نُعَيْلة بنون فعين فتحتية فلام بوزن جهينة كما في القاموس وكذلك رسم في نسختين مخطوطتين من الاستيعاب ووقع خطا في هذا الاسم في المطبوعة من الاستيعاب وخطا آخر فيه في الاصابة

ص ١٧٩ س ٤ ـ ٥ مَلكان ضبط بفتح الميم أنظر ما تقدم في تصحيح صفحة ١٠

ص ١٧٩ س ٢٠ « وحملة » وقع في النسخة التونسية وحلمه بتقديم اللام على الميم وليحرر

ص ١٨٠ س ٤ . ٧ « معرض » في موضعين ضبط بفتح على الميم وسكون العين

وفتح الراء والصواب « مُعَيْرِض » بضم الميم وسكون العين وكسر الراء المخففة كذا ضبطه البغدادي في خزانة الادب في ترجمة الافيشر (انظر صفحة ٢٨٠ جزء ٢ طبع بولاق)

ص ١٨٢ س ١٤ - ١٦ « بنو الزنية » ثلاث مرات ضبطه بفتح الزاي وكسر النون وتشديد التحتية وهو خطا والصواب كسر الزاي وسكون النون وتخفيف التحتية كما في كتب السيرة .

ص ١٨٢ س ١٦ « فمن بني الزنية : مالك الحضرمي » الصواب وضع النقطتين بعد كلمة مالك . ويكون مالك مجرورا بيانا من الزنية . والحضرمي مرفوعا على الابتداء وخبره من بني الزنية

ص ١٨٢ س ١٧ « موالة » كتب بالالف بعد الواو والصواب « موله » بفتحات ثلاث كما ضبطه في الاصابة .

ص ١٨٣ س ٩ كتب « الاختم » بمثناة فوقية ولا يعرف هذا في الاسماء والصواب أنه بمثلثه فان ذالك معروف في الاسماء كما في القاموس وقد رايت ضبط هذا في بعض كتب التاريخ .

ص ١٨٣ س ٩ « حَمَّل » خطا والصواب حمال بتشديد الميم والف بعدها كما ضبطه ابن الاثير في الكامل (انظر ص ٥ ٢ جزء ٢)

ص ١٨٤ س ٢ « ودؤاب » كتب بدال مهملة والصواب بالذال المعجمة كما في معاهد التنصيص في مبحث تحسين الاطراد

ص ١٨٤ س ١٩ « ابن الزبير » ضبط بضم الزاي وفتح الموحدة والصواب انه بفتح الزاي وكسر الموحدة

ص ١٨٤ س ٢ « الزبيري » ضبط بضم الزاي وفتح الموحدة والصواب فتح فكسر كما تقدم

ص ١٨٩ س ٧ « بن لجاء » والصواب بن لجا بهمزة بعد الجيم

ص ١٨٩ س ٧ بن « جدير » بجيم في التاج بحاء مهملة

ص ١٨٩ س ٧ « بن معاذ » صوابه بن مصاد بميم مفتوحة فصاد مهملة ءاخره دال مهملة

ص ١٩٠ س ١٩ « هدمة بن الاصم » كذا كتب والصواب هذمة (بالمعجمة) ابن لاطم بلام والف وطاء مهملة وتخفيف الميم كما في القاموس

ص ١٩١ س ٣ - ٩ - ١٠ هدمة (ثلاث مرات) والصواب كما تقدم

ص ١٩١ س ٣ « المضـرّب » ضبط بكسر الراء والصواب بفتحها

ص ١٩١ س ٨ قوله « لم يبلغني اسمه » اقول اسمه سنان كما في الاستيعاب

ص ١٩٣ س ١ « بجاد » كتب بدال بعد الالف والصواب انه بجالة بلام وهاء تانيث بعد الالف كما في القاموس والتاج وكما هو على الصواب في السطر ١٧

ص ١٩٧ س ٣ « الحبطات » ضبط بكسر الباء والصواب بفتحها

ص ٢٠٣ س ١٧ « قريظ » كتب بظاء معجمة والصواب بطاء مهملة كما في النسخة التونسية وهو المعروف في الاسماء

ص ٢٠٤ س ٧ - ١١ « عواقة » ضبط بضمة على العين والمعروف انه بفتحة على العين وهو مقتضى سكوت القاموس عن حركة اوله لان اصطلاحه ان عدم التعرض لذكر الحركة يقتضي ان الحركة فتحة ولم ينبه صاحب التاج على حركته . ولكن من العجب انه وقع في نسخ اربع مخطوطة من القاموس موضوعة ضمة على عينه . وكذلك في نسخة اللسان المطبوعة ببولاق

ص ٢٠٦ س ٤ - ٥ - ٦ « الوقباء » كتب بالمد وضبط بسكون على القاف والصواب انه مقصور والقاف مفتوحة

ص ٢١٥ س ١٠ « ابن جويرية » كتب بجيم فواو فتحتية فراء فتحتية فهاء تانيث . والصواب انه بحاء مهملة مفتوحة فواو مكسورة فتحتية مشددة كما في الاصابة .

ص ٢١٥ س ١٦ « الاحوص بن عمر » كتب بحاء مهملة والصواب انه بخاء معجمة ابن عَمْرو بفتح العين كما في القاموس وهو غير الاحوص الذي بالمهملة

ص ٢١٦ س ١٦ « الحشاب » كتب بحاء مهملة غير مضبوط والصواب انه بخاء معجمة وبوزن كتاب كما في القاموس

ص ٢٢٣ س ١٩ « افصىّ » جعل شدة على الباء والصواب عدم الشدة

ص ٢٢٨ س ١١ - ١٧ « اقصى » كتب بالقاف والصواب بالفاء كما تقدم

ص ٢٣٣ س ١٦ « الطفاوة » هو بضم الطاء وتخفيف الواو

ص ٢٣٤ س ٩ - ١٢ « عفان » (ثلاث مرات) كتب بنون في آخره وضبط بفتح العين وتشديد الفاء والصواب انه بقاف في آخره وانه بكسر العين وتخفيف الفاء كما في القاموس

ص ٢٣٩ س ٤ « من بنين » صوابه « من بني عبس » كما في النسخة التونسية

ص ٢٤٠ - ٢٤١ س ٩ - ١٠ - ١١ - ١٧ « غيط » كتب بطاء مهملة في مواضع اربعة والصواب انه بظاء معجمة

ص ٢٤١ س ١٤ « هجناك » كذا كتب وهو خطا والصواب « هجانك » كما في النسخة التونسيه والمعنى عليه

ص ٢٤١ س ١٥ « ايها الملك » في النسخة التونسية « ايها الامير »

ص ٢٤٢ س ٦ ضبط « وجثامة » بضمة على الجيم ولم اقف على هذا في الاعلام وانما هو في الاوصاف والظاهر انه بفتح الجيم وفي النسخة التونسية وضع علامة الشد على الثاء

ص ٢٤٢ س ١٠ - ١٢ كتب « الرقاح » بقاف والصواب الرماح بميم كما في النسخه التونسية وهو المعروف

ص ٢٤٢ س ١٠ - ١٤ - ١٥ كتب « غيط » بالطا المهملة وتقدم تصحيحه آنفا في تصحيح صفحة ٢٤٠

ص ٢٤٢ س ١١ - ١٢ كتب « شزيان » بشين وراء والصواب ثوبان بمثلثة وواو وموحدة كما رسم في الاغاني المخطوطة والمطبوعة ووقع في النسخة التونسيه ثريان بمثلثة وراء وتحتية كما في تعليق الاغاني طبع دار الكتب

ص ٢٤٢ س ١١ « شراقة » كتب بشين معجمة والصواب انه بالسين المهملة

ص ٢٤٢ س ١٦ كتب « مسرق » بقاف الصواب بفاء كما في التواريخ

ص ٢٤٣ س ١٦ كتب « وسمخ » بسين مهملة والصواب انه بشين معجمة كما في النسخة التونسية وغيرها

ص ٢٤٣ س ١٦ كتب « بنوخولة » بخاء ثم واو والصواب « بنو منولة » بميم فنون فواو كما في القاموس والتاج

ص ٢٤٤ س ١ كتب « ان نَبَأ » والصواب ان يَنْأَ كما هو في دواوين الادب والمعنى عليه

ص ٢٤٥ س ٥ - ٧ « ام قربة » كتب بموحدة بعد الراء والصواب بفاء والقاف مكسورة كما في القاموس والسيرة

ص ٢٤٨ س ١ كتب « عن الخيل » والصواب « عن الحمل » حسب المعنى

ص ٢٤٨ س ١٠ كتب « فلياخذها » والصواب « فليأخذه » كما في النسخة التونسية

ص ٢٤٨ س ١١ كتب « واطلهم » والصواب « وإطلقهم »

ص ٢٤٩ س ٨ كتب « وابنا » والصواب ابنا بدون واو

ص ٢٤٩ س ٩ « كتب « عمرو بن يقضة » والصواب « عمرو بن رياح بن يقظة » كما في الاغاني وغيره

ص ٢٤٩ س ٩ كتب « بن عصية ومالك ذو التاج » وهذا نقص والصواب « بن عصية وخفاف بن نَدْبة وهي امه واسم ابيه عمير بن الحارث بن الشريد وهو عمرو بن يقظة بن عُصَيَّة » كذا في مخرج مصحح في النسخة التونسية - يلاحظ تصحيح عمرو بن يقظة بانه عمرو بن رياح بن يقظة كما تقدم ايضا

ص ٢٦٢ س ٩ ضبط « هَزم » بضم ففتح والصواب انه بضم فسكون كما في السير

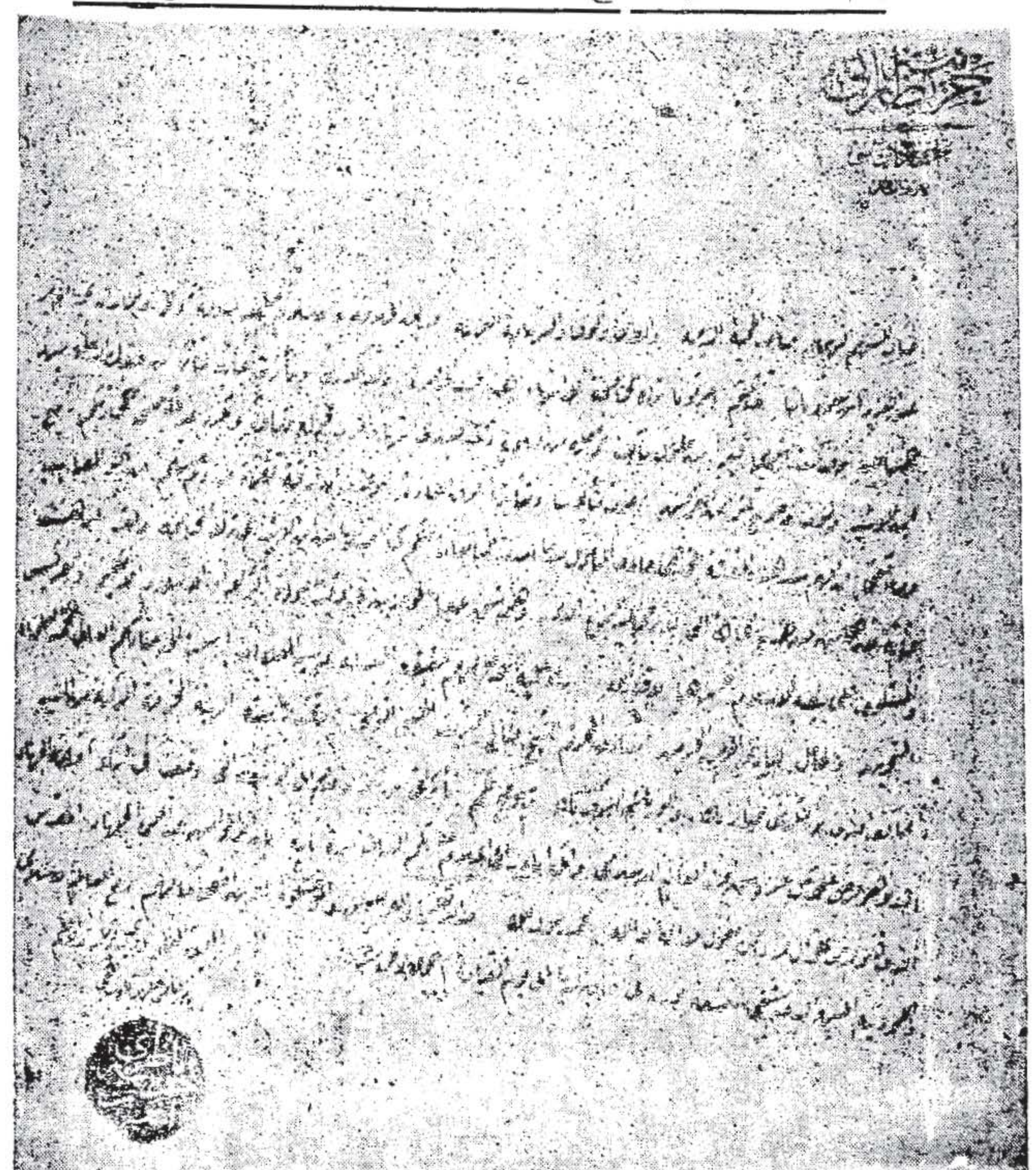
ص ٢٦٦ س ١١ - ١٣ ضبط مرجع « (ثلاث مرات) بفتح الميم والصواب انه بكسر الميم كما في القاموس

ص ٢٦٩ س ٢ كتب « اخاه منقاد » والصواب « اخوه منقادا » والضمير عائد الى ربيعة في السطرين ١ - ٢ واما اسم منقاد فكذلك وقع تصحيحه في النسخة التونسية بخط مصححها وكان مرسوما منقد بدال مهملة وكلا الاسمين

وثيقة تاريخية هامة تتعلق بحياة

الشيخ صالح الشريف

بقلم العلامة النحرير الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور المدرس بجامع الزيتونية



نصهـا : حربية نظارتي (١) تحريرات دائرة سي (٢) تحريرات قلمه (٣) جناب الشهم الهمام صاحب الحمية الدينية والصدق والوفاء والشهامة العربية صديق الخلافة والاسلام صاحب الدولة والي وقمانوان (٤) نجد الامير عبد العزيز ابن سعود باشا قد كنتم اخبرتمونا بترك المخاصمة الى انتهاء هذه الحرب الحاضرة ولقد تكدرت تأثرت غاية التاثر من سفك الدماء بين المسلمين وقد كنت مبتهجا كثيرا من حصول ما كنت اؤمله من أصلاح ذات البين الى انتهاء الحرب بحوله تعلى ولكن عندما بلغني محاربتكم مع ابن الرشيد وموت وجرح كثير من الطرفين صرت مأيوسا ومتأثرا فوق العادة وعندي أن اراقة قطرة من دم مسلم من إكبر المصائب وما امكنني أن افهم سبب هذه المقاتلة التي هي خلاف المأمول بعد ما اخذت التأمينات منكم كما اخذتها من ابن الرشيد في ترك المخاصمة ولقد اندهشت غاية الاندهاش من هذه الحالة التي لا ترضى عند الشرع الانور وهي شق عصا الموحدين في وقت صولة اكبر اعداء الاسلام الانكليز والفرنسيس والمسكوف (٥) على بيضة الاسلام لكسرها لا قدر الله بناء عليه لاجل فهم حقيقة المسألة وسبب المعاداة ارسلت الى جنابكم العالي احد العلماء المتبحرين والحامل لباية (٦) الحرمين المحترمين استاذي المحترم الشيخ صالح الشريف الحسني التونسي وتحت رئاسته الهيأة المحترمة المركبة من السيد عاكف افندي والبكباشي ممتاز بك واليوزباشي اشرف بك وسيوضح لكم تاثراتي من هذه الاحوال المؤسفة التي وقعت في اثناء اقامة الجهاد الذي هو فرض على كل فرد من افراد العالم الاسلامي واني ابادر الى اعلام جنابكم العالي مرة ثانية بان امير المؤمنين قد اعلن الجهاد المقدس الذي هو فرض على كل فرد ممن يقول لا إله الا الله محمد رسول الله ضد الانكليز والفرنسيس والموسكوف الذين اقصى امالهم دفع العالم الاسلامي ومحو

(١) وزارة الحرب (٢) دائرة التحريرات (٣) قلم التحرير (٤) قائد عام (٥) الامة الروسية (٦) رتبة باي وهو انعام كان يخصص برجال الهياة الدينية

دينه المبين الذي ستبقى شعشعة نوره في ءافاق الدنيا الى يوم القيامة ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٣

صهر الخليفة المعظم ووكيل قوماندان الاعظم
ياور خاص حضرتي بادشاهي (١)
انور حربية ناظري ١٣٣٣ (٢)

❀ ❀ ❀

الاسماء التي تدور عليها

المخاطب : جلالة الملك عبد العزيز آل سعود فارق مدينة الرياض سنة ١٣٠٨ وسنه احد عشر عاما لما زال عن امارتها والده عبد الرحمان بن فيصل والتجا الى الكويت ثم عاد اليها غازيا سنة ١٣١٩ فاسترجعها من ايدي آل الرشيد الذين كانوا الحقوها بامارة حائل تحت السيادة العثمانية واستمرت الحروب بينه وبينهم حتى ضم اكثر البلاد النجدية الى امارته واستولى على الاحساء وفي سنة ١٣٣١ تصالح مع السلطنة العثمانية التي كانت ولاية الاحساء تحت سيادتها وسمي واليا على نجد مع منحه لقب باشا برتبة مشير

المرسل : انور باشا البطل التركي الاسلامي احد زعماء حركة الاتحاد والترقي وقادة ثورة الانقلاب سنة ١٣٢٦، اشتهر في حرب طرابلس وحرب البلقان وعلا نجمه بفك ادرنة سنة ١٣٣٢ ثم سمي وزيرا للحربية في الوزارة الاتحادية برئاسة طلعت بك وهي الوزارة التي كان دخول تركيا في الحرب العظمى على عهدها واضطلع فيها انور بمهمة توحيد العالم الاسلامي في موقف مناصرة الخلافة العثمانية فجد في العمل لتمكين دواعي التقارب ورفع عوامل التفرق بين عناصر العالم الاسلامي دولا وشعوبيات واحزابا توفي شهيدا في امارة بخارى من بلاد التركستان سنة ١٣٣٩

ابن الرشيد : الامير سعود بن عبد العزيز بن متعب بن عبد الله بن علي بن الرشيد من عرب شمر كان اجدادهم امراء تابعين لسلطنة ءال

(١) الملحق العسكري (المعين) الخاص لحضرة السلطان (٢) انور وزير الحرب

سعود يحكمون باسمهم ولاية شمر في سنة ١٣٥٠ وعاصمتها مدينة حائل (شمالي البلاد العربية)

وفي أوائل القرن الحاضر بدأ الامير محمد بن عبد الله ـ عمّ والد الامير سعود الذي يتعلق به موضوعنا يسير على منهج قاطع للعلاقات بين امارته وبين سلطنة آل سعود ورابط فيما بينه وبين سيادة الخلافة العثمانية حتى انتهى الى الاستيلاء على مدينة الرياض سنة ١٣٠٨ واجلاء السعوديين عنها وفي امارة ابن اخيه عبد العزيز بن متعب اخذ السعوديون بثارهم واسترجعوا الرياض عاصمتهم واستمرت امارة آل الرشيد مزعزعة يسيطر عليها النفوذ العثماني وتنال منها عداوة السعوديين وكان آخر امرائها الامير سعود المتعلق به حديثنا فقد ظل مختفيا بالمدينة المنورة من بعد مقتل والده سنة ١٣٢٤ الى ١٣٢٦، اذ نصب اميرا على حائل تحت السيادة العثمانية وبقي معتصما بحبلها وسلطنة السعوديين على تهديداتها ومناوشاتها له الى ان انتهت امارة آل الرشيد بسقوط السلطنة العثمانية فقتل الامير سعود سنة ١٣٤٠ والحقت منطقة امارته بسلطنة منافسه الملك عبد العزيز آل سعود وهي الآن من اجزاء المملكة العربية السعودية

◆

الظروف الخاصة بهذه الوثيقة

كانت روح التنافس والنزاع سائدة بين الامارتين النجديتين امارة آل سعود وامارة آل الرشيد من اول القرن الرابع عشر وكانت صلات آل الرشيد بالخلافة العثمانية مبنية على نظرة الحذر والكراهية التي تلحظ بها دار الخلافة آل سعود منذ ظهورهم صدر القرن الثالث عشر بنزعة المذهب الوهابي في عهد عبد العزيز آل سعود الاول وما تبع ذلك من استيلائهم على الحرمين الشريفين وتوغلهم في العراق وسوريا ومحاربة العثمانيين اياهم بواسطة والي مصر محمد علي الكبير وولديه طوسون باشا وابراهيم باشا الذين انتصروا عليهم انتصارا باهرا وساقوا عبد الله بن سعود الكبير وعظماء قومه الى الشنق في الآستانة سنة ١٢٣٤ واستمرت حركتهم معتبرة حركة ثورية انشقاقية يتوالى قمعها من طرف ولاية مصر الى ان جدد فيصل بن تركي ـ جد الملك عبد العزيز الحالي ـ امارته بعد خروجه من الاعتقال بمصر سنة ١٢٦٠ وكان قد حمل اليها اسيرا

عند استيلاء خورشيد باشا على الرياض سنة ١٢٥٤ فجمل اساس عهده الجديد موالاة السلطنة التركية وولاية مصر الا ان امارة السعوديين دخلت بعد وفاة فيصل سنة ١٢٨٢ في مشاقات داخلية ومنازعات عائلية ثم اشتبكت في الحروب مع آل الرشيد فكانت حالتها تلك كافية للسلطنة العثمانية عن محاربتها لا سيما مع سوء الحالة بمصر التي هي مقر القيادة العامة للحملات العثمانية على السعوديين فكان قصارى عمل العثمانيين في هذا الدور ان يلاحظوا حالات الاضطراب التي كانت محيطة بالعرش السعودي ليتحققوا من انحصار الخطر وان يساندوا الامارة التي كان وجودها توهينا لنفوذ آل سعود وتحديدا من انبساط سيادتها على كامل البلاد النجدية وهي امارة آل الرشيد

فلذلك كان السعوديون يعتبرون في نزاعهم المتجدد مع آل الرشيد في منازعة مع العثمانيين من وراء ستار فكانوا يهتبلون فرص ضعف الخلافة العثمانية وحدوث مشاكلها وتولد مظاهر ضعفها نحو امارة آل الرشيد بضرباتهم العنيفة وكان العثمانيون يجدون من ذلك ما يحملهم على مناصرة آل الرشيد وامدادهم بالراي والمال والسلاح وكان الانقليز بمطامعهم في بلاد العرب وحرصهم على اضعاف النفوذ العثماني فيها ثم رفعه عنها يوادون آل سعود وياخذون بناصرهم ويمدونهم فكانت الخلافة العثمانية تقيم لهذا الامر حسابا وتعتبر عداءها لآل سعود ومقاومتها لهم مقاومة متسترة للنفوذ الانكليزي في بلاد العرب .

وعلى هذا فان نشوب الحرب البلقانية سنة ١٢٣١ كان مناسبة مواتية لهجوم السعوديين على القطيف والاحساء وكان ذلك زائدا في غيض العثمانيين عليهم وعاملا على تربصهم بهم نهاية الحرب البلقانية ليسترجعوا القطيف والاحساء - كما كان عليه الامر من قبل - متصرفية تابعة لولاية البصرة ويغروا ابن الرشيد بتجديد مواقعه مع آل سعود

الا ان الوزارة الاتحادية التي اخذت بالزمام بعد الحرب البلقانية ودخل فيها انور باشا وزيرا للحرب قد كانت سياستها بتوجيه انور مائلة الى حسم الخلاف مع ابن سعود وجلبه الى صف العثمانيين فقررت الاعتراف له بولاية القطيف

والاحساء واعتباره والي نجد من طرف السلطنة والسعي في اصلاح ذات بينه وبين ابن الرشيد على نية اقامة صفهما سدا في وجه التدخل الانكليزي الا ان احقاد النفوس لم تنقطع فاستمرات المناوشات قائمة على الحـدود بين امـارة ابن سعود وامارة ابن رشيد وكل من الطرفين يرمي الآخر بانه البادئ .

ولما دخلت تركيا في الحرب العظمى سنة ١٣٣٢ طلبت من والي نجد عبد العزيز ءال سعود ان يكون الى جانبها فلم يجب الطلب ولكـنه التزم بملازمة الحياد وتوقيف المنازعات مع امير حائل

◆

موضوع المكاتبة

صدرت هذه الرسالة في جمادى الثانية ١٣٣٣ الموافق شهر افريل سنة ١٩١٥ وقد مضى على دخول تركيا في الحرب ستة اشهر

وكانت المودة السعودية التركية حديثة عهد طرية فكان لحالة الغـارات المستمرة سابقا من السعوديين على امارة حائل عقابيلها القائمة التي لم تقض عليها روح الصلح قضاء مبرما فما تزال قبائل الاطراف من الامارتين في منازعات حلمية ومصادمات دامية وكان لاقل تلك الحوادث أثره العظيم في نظر السلطنة العثمانية لما كانت تخشاه من تولد تداخل انـكليزي عن التواء بعض الاحداث

وكان الامل في أنضمام الامارة السعودية الى صف الجهاد العثماني لم يتحقق فبمجرد ما بلغ الوزارة التركية نبا حـادث على الحدود السعودية الرشيديـة أهتمت لمكاتبة الامير عبد العزيز ءال السعود لتحرضه على قطع دابر الفتن وسد الابواب في وجه الدسائس الخارجية

السفـارة

وكان هذا المعنـى يحتوي على اعتبارات هامة من تأكيد صفاء نية الوزارة واقلاعها حقا عما كان معتادا من الاغراء والامداد السريين لآل الرشيد وما تتوقع الوزارة من اثر الاصبـع الانـكليزي وما ترجو من قيام الامير السعودي بعمل محسوس يربطه بموقف تركيا بين الحرب ويقطع ما بينه وبين الانكليز وكل ذلك كان يستدعي حديثا شفهيا من شخصية ذات قيمة ومقدرة على شرح اصل الموضوع مع امانة -

وديانة كفيلين باطمئنان من تجري معه المذاكرات الى ما يبذل له من الضمان مع افراد يؤيدونه من ذوي الكفاءات الاختصاصية في ما يمس بالموضوع من الاحوال الادارية والعسكرية والمالية

لذلك اختير المقدس الشيخ صالح الشريف لرئاسة هذه البعثة لما كان يقوم عليه مجده من النسب الشريف والعلم الواسع والفصاحة الباهرة والتفاني في سبيل الوحدة الاسلامية ولكونه مضمون الحماية بانه ليس بتركي ولا نجدي وانه لا يربطه بالموضوع الا المعنى الاسلامي الخالص الذي ينبغي ان يكون محل اطمئنان الطرفين

ووضع تحت رئاسته موظف مدني سام وضابطان عسكريان لاجراء المباحثات فيما يرجع الى التفاصيل الناشئة عن الاتفاق السياسي المبدئي

فحوى الرسالة

في الرسالة اشارات سياسية سامية الى المعاني التي ستدور حولها المحادثات وهي

١ ـ التاكيد بوجوب وقف الحوادث وقفا عمليا مطلقا (يشار اليه بتعظيم امر القتل وتهويل اراقة الدماء وقلق الحكومة من ذلك)

٢ ـ التحذير من الانكليز (يشار اليه ببيان عداوتهم للخلافة ونواياهم ضد الاسلام ولامر ما حشروا مع غيرهم ممن لا ماس له بالموضوع حتى لا يكون الاقتصار عليهم تعريضا باتهامات تؤلم المخاطب)

٣ ـ الرغبة بين انضمام الامارة السعودية الى الواجهة العثمانية في الحرب انضماما عمليا (يشار اليه بواجب الجهاد الديني الذي اعلنه امير المؤمنين فصار امره محتما على كل مسلم تحتما يتلازم مع نطقه بكلمة الشهادة

مآل الرسالة والسفارة

كانت فكرة ارسال الشيخ صالح الشريف بماموريـة للبلاد العربيـة عزما قديما لانور باشا تحدث الامير شكيب ارسلان انه فاوضه فيه

وكانت النيـة على ان يتوجه الى الرياض لمحادثة الامـير السعودي وإلى حائل لمحادثة الامير ابن الرشيد والى عسير لمحادثة السيد الادريسي

ولم يتحقق ابراز هذا العزم الا بعد دخول تركيا في الحرب

فحررت هذه الرسالة ويظهر انها كانت احدى الرسائل خوطب بها كل من الثلاثة الامراء

وقد ذكر الامير شكيب ارسلان في حواشيه علي حاضر العالم الاسلامي (ج ٤ ص ١٧٠ ـ ٢) ان الحرب العامة قد حالت دون قيام الشيخ صالح برسالته لدى الادريسي في عسير ويظهر ان ذلك المانع قد حال ايضا دون قيامه بسفارته في الرياض فالمحقق ان الشيخ لم يفارق الاستانة بعد اعلان الحرب وان احوال البلاد العربية في الحجاز وسوريا والعراق ما كانت تسمح له بذلك وحالت المواصلات بين تركيا والشرق الادنى ما كانت سهله ولا تعين عليه فيظهر من ذلك ان السفارة التي جاءت في الوثيقة لم تدخل حيز التنفيذ وان الرسالة سلمت الى الشيخ إستعدادا لفرصة لم تسنح ولذلك بقيت في اوراقه ولو تمت السفارة لكانت هذه الوثيقة في حوزة الدولة السعودية فلم تصل الى ايدينا ولم يشر بها هذا التعليق الذي نشر صحيفة مطوية من التاريخ .

من كتاب

مختارات الخواص

للدكتور الطاهر الخميري

مقدمة

جاء في كتاب « الادب الصغير » لابن المقفع : « لا يَنبَغي للمَرء أن يَعتَمِدَ بِعلمِه ورأيِه ما لَم يُذاكرهُ ذوو الألبابِ وما لَم يُجامعوهُ عَلَيهِ ، فإنّهُ لا يَستكمِلُ عِلمَ الاشياء بِالعَقلِ الفَردِيّ .

ينطبق هذا القول على كتب المختارات الادبية بصفة خاصة ، لان الموضوع موضوع ذوق ، والذوق الفرد أدنى الى الخطإ من العقل الفرد .

هذه قطع من الادب العربي شاركني في استحسانها بعض الادباء المعاصرين انشرها راجياً ان ينشط الكتاب الى النسج على منوالها فتكثر كتب المختارات ويجد المتأدبون ما يقرأون .

١

(عبادة الاحرار)

إن قوماً عبَدوا اللهَ رَغبةً ، فتلك عبادة التجار .

وان قوماً عبَدوا اللهَ رَهبةً . فتلك عبادة العبيد .

وان قوماً عبدوا الله شكراً ، فتلك عبادة الاحرار . (نهج البلاغة)

طلبت مرة الى احد تلامذتي من المستشرقين الالمان . وكان شاعراً اديباً ـ ان يترجم هذه القطعة الى اللغة الالمانية . فترجمها شعراً وعلق عليها بقوله : هذا مثال من الادب العالمي الرفيع الذي يترجم الى اللغات المختلفة ولا يفقد شيئاً من وضوحه وقوته وجماله . وتحدثت يوما في موضوع العبادة مع قسيس انكليزي ممن درسوا

تاريخ الاديان وتخصصوا في التصوف واستشهدت بهذه الكلمة من « نهج البلاغة » فقال القسيس : هذا ـ فيما اعلم ـ اسمى ما وصل اليه التفكير الديني ... اذا كان هذا الاسلام فانا اليوم من المسلمين.

همبورغ ١٩٤٦

٢

(دُعاء)

ربِّ طوّقت مغانينا جمالاً وجلالا

ونثرتَ الخيرَ فيهنّ يميناً وشمالا

رب هذي جنّةُ الدنيا سلَوناها مَلالا

كيفَ نمشي في رُباها الخُضر تيهاً واختيالا

وجِراح الذُّل تُخفيها عن العِزّ احتيالا

رُدّها جرداء واملأْها صخوراً ورمالا

نحن نجفو الخُلدَ إن لم نلتقِ في الخلد رجالا

عمر ابو ريشه

◆

قرأت هذه القطعة في أحد اعداد سنة ١٩٤٨ من « جريدة الانشاء » السورية ثم رأيت ادباء الجالية العربية في لندن وباريس يتناشدونها ويستنسخونها ، ولما ذهبت الى مصر سنة ١٩٥٠ وجدت بعض كبار الادباء هناك ما يزالون يتحدثون عنها . هل القطعة ذات قيمة في ذاتها ام هي ظروف خاصة قد اكسبتها قيمة خاصة؟ قضية فلسطين ؟ « جراح الذل » ؟

القاهرة ١٩٥٠

٣

(وجه)

ووجهٌ كأنَّ الشمسَ ألقت رِداءَها عليه ، نقيُّ اللّونِ ، لم يتخدّدِ

طرفة بن العبد

◆

دار الحديث حول هذا البيت مع الاستاذ صالح فرحات فقلت : لقد لعبت القافية بالشاعر فأفسد البيت بقوله « لم يتخدد »

لان الوجه الذي كأن الشمس ألقت عليه رداءها لا يحتاج في وصفه الى مثل هذا الاحتراز والتفصيل . فقال الاستاذ فرحات : والوزن ايضا قد لعب بالشاعر فهدم ركناً آخر من البيت بقوله « نقي اللون » وذلك لنفس السبب الذي ذكرتَه .....

تونس ١٩٥١

٤

(الشَّيْخُوخة)

إذا الرِّجالُ وَلَدَتْ أَولادُها
وارتعشَتْ مِن كِبَرٍ أَجسادُها
وأَخَذتْ اسْقامُها تَعْتادُهَا
تلك زروع قد دَنا حَصادُها

؟

◆

انشدني هذه القطعة الشيخ محمد الشواشي في باجه ولم ينسبها ، وكنت اعرف عدة قطع في هذا الموضوع بالعربية والانكليزية والالمانية. ولكني لا أتذكر اني تأثرت بواحدة منها تأثري بهذه القطعة ..... ليست هذه القطعة اجمل ولا اعمق من كل ما قرأته في موضوع الشيخوخة ولكن الشيخ الشواشي أحسَن إنشادَها ... كان معجباً بها وكان يتذوقها فازدادت قيمتها لذلك .

هذا موضوع تأمل لاولئك الذين يعتنون بالتفخيم والتهويل في انشاد الشعر ويهملون الفهم والتذوق ، ومنهم اكثر مذيعي المحطات العربية .

باجه ـ تونس ١٩٥١



الحروب الصليبية

اسباب و نتائج

بقلم الشيخ الاستاذ التهامي الزهار المدرس بجامع الزيتونة

ما زالت المحن تضفي على الشعوب القوية الايمان بوجودها الغيورة على كيانها الواثقة بتعاليمها اثـواب العز والسؤدد رغم الاعاصير التي يخيـل للناظر من بعيـد انها ستجتاحها وتاتي عليها في وقت قريب لما ظهر عليها من تمزق في الشمل وتفرق في الكلمة وتنازع على السيطرة وما انفكت اقلام الكتاب تتناول بالتحليل والعرض العوامل التي كانت مثاراً للحروب الصليبية التي مني بها المسلمون .

يمكن ارجاع تاريخ الحروب الصليبية الى اليوم الذي هزم فيه المسلمون هرقلا في واقعة اليرموك على عهد سيدنا عمر رضي الله عنه (١٣) هجرية فكانت الحروب التي شنها المسلمون لافساح المجال للعقيدة الإسلامية المبشرة بالتعاليم السماوية الضامنة لكافة الشعوب حرية المعتقد والمساواة في الحقوق واداء الواجبات وتخليصا للشعوب الواقعة تحت سيطرة الملوك المستبدين الذين لا يقيمون وزنا الا لطبقة من الشعب قربها الحكام بامرهم وميزوهم بالرعاية وسعة العيش فكانت الشعوب مستعبدة للملوك وطبقة النبلاء وهذا الفتح افسح امـام المسلمين المجـال لادخال اراضي شاسعة واقوام كثيرة ضمن الدولة الاسلامية الفتية فافتكوا من الروم الشام ومصر وشمال افريقيا واستمروا ينشرون الانوار الى ان بلغـوا في اروبا جبال البراني ومن قبل قهروا دولة فارس ولم يبق فيها ظل للنفوذ الفارسي

بقي المسيحيون ينظرون مبهوتين من قوة هاته الدولة ووقرت في نفوسهم الهيبة

وتملكهم للاعجاب واخذوا انفسهم بالبحث عن اسباب هاته العظمة فلم يستطيعوا طيلة خمسة قرون تقريبا ان يتقدموا على حرب المسلمين حربا يرجعون بها شيئا من سالف عزهم ففي الاندلس كانت هيبة المسلمين ما زالت موفورة الى أواخر القرن الرابع الهجري فالمنصور ابن ابي عامر الذي قال في حقه الشيخ عبد الواحد المراكشي : « اقام الهيبة فدانت له اقطار الاندلس كلها وامنت به ولم يضطرب عليه شيء منها ايام حياته لعظم هيبته وفرط سياسته » لم يزل مواصلا غزو الروم فقد غزا في ايام مملكته سبعا وخمسين غزوة موفقة ووصل الى معاقل قد كانت امتنعت على من كان قبله وملا الاندلس غنائم وسبيا من بنات الروم واولادهم ونسائهم . وفي الشرق رغم ان الخلفاء العباسيين لم تعد يدهم قابضة على جميع ما يرجع اليهم بالنظر والتصرف والحكم الفعلي ابتداء من محمد المنتصر بالله بن المتوكل سنة ٢٤٧ عادالى القواد والدويلات الموزعة الناشئة امثال الدولة البويهية والدولة السلجوقية ودولة ءال سبكتكين . فالسلجوقيون المتاخمون للدولة البيزنطية ما زالوا يخيفون بباسهم وقوة شكيمتهم صاحب القسطنطينية حتى اضطروه الى دفع جزية سنوية فاستنجد بملوك اوربا على المسلمين واثار العرق الحساس في البابا واعدا اياه ان يدخل في طاعة كنيسته ويتخلى عن ارتودكسيته اذا هو ساعده على دفع صائل المسلمين . وكانت الدولة الفاطمية الراجع اليها امر بيت المقدس تلزم كل حاج من النصارى بدفع ضريبة زعموا انها فاحشة وعظم امرها عند بعض رؤساء الدين منهم (البطريرك سمعان) فاهاج امثال بطرس الناسك الخواطر في الضرب على المسلمين وبالغوا واكثروا فيما يلقاه النصارى من العنت في حجهم . على انه لم يحدث من الاعتداء على حجاج القبر المقدس سوى حوادث فردية قليلة لا تخلو منها بلاد قال منرو (١) : كانت هذه الفظائع المنسوبة الى المسلمين ممزوجة بكثير من الافاويه لتوافق روح ذلك العصر الذي كان اشد توحشا من عصرنا هذا وكان النصارى ياخذون قصص هذه الفظائع على علاتها فعظم تاثيرها في حماسة الكثير منهم

---

(١) نظرة الغرب الى الاسلام في زمن الحروب الصليبية لمنرو (مجلة الكلية م ١٨)

ولجأ الغربيون الى انواع اخرى من الدعوة واهاجة الافكار على المسلمين واتهموهم بعبادة الاصنام واغتنم البابا فرصة عقد الجمع الديني في كلرمون فعرض عليه ما يلقاه النصارى من الارهاق وحرض ابناء النصارى على حمل الصليب ليفتحوا القبر المقدس ومنحهم غفرانا عن كل خطاياهم واحل لهم ما تجترحه ايديهم وجوارحهم حاميا بسيادته الروحية عيالهم واموالهم مدة غيابهم واعدا اياهم بمغانم دنيوية كثيرة يسقطون عليها لا محالة اذا فتحوا الارض المقدسة فسار بعضهم مدفوعا بسائق الدين ومنهم الطامع بالغانم والارباح . وقد كان الفقر في تلك الفترة قد عضهم بنابه واصيبوا باوبئة حصدتهم ومجاعات زادت في عوزهم فاوهم رؤساءهم بان الشرق الاسلامي بلاد الذهب لا يلبث نزيله ان يغتني وينعم .

وفي اخر سنة (٤٩٠ هـ) اجتمعت في القسطنطينية جيوش الصليبين وبعد مصاعب شديدة اقوها في آسيا الصغرى تقدموا ففتحوا الساحل الشامي واستولوا على بيت المقدس في ٢٣ شعبان سنه ٤٩٢ هـ وولوا قودفروا الفرنساوي ملكا عليها ولو لم يكن آل سلجوق لاهين عن مقاومة المسيحيين بالحروب الداخلية العائلية لما امكن المسيحيين من التقدم شبرا في الاراضي الاسلامية ولكن التفرق والنزاع على النفوذ وحب الاستئثار بالجاه بين رجال الصقع الواحد يكون دائما مدعاة لضياع ما بالايدي وسلط الغير . ففي غضون هذه الحروب الداخلية ملك الافرنج عدة مدن اخرى منها سروج من اعمال الجزيرة وعكا وقنسرين في سنة ٤٨٤ هـ وطرسوس في سنة ٤٩٥ هـ ثم تقدموا ففتحوا جفيل وغيرها من بلاد الشام في سنة ٤٩٦ هـ واخيرا استولوا على مدينة طرابلس في سنة (٥٠٣ هـ) ومدينة صيدا في سنة ٥٠٤ هـ فما زال المسيحيون مغتنمين فرصة حدوث القلاقل بسبب الخلافات المستمرة بين السلجوقيين اذ قامت بين السلطان محمود السلجوقي واخيه داود وبعض اعمامه حروب سفكت فيها دماء المسلمين فكانوا يسرعون الخطى لتثبيت اقدامهم في جهات الشام واسسوا اربع امارات مسيحية في بيت المقدس وحمص وانطاكية وطرابلس . الا ان الله لابد ان يجعل لاتباع دينه

مخرجا بعد ان يبلوهم ليريهم عاقبة التفرق والتنازع على حطام هاته الدنيا فظهر صاحب الموصل عماد الدين زنكي الذي استولى على عدة امارات اسلامية ثم عقد العزم على اخراج الافرنج من بلاد الشام وكان له ذلك وبلغ الاسلام اوج عزه كسابق عهده في فترات من التاريخ في عدد من بقاع الارض في مدة نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبي الذي استرجع من النصارى مدينة القدس في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ فذهب حلم النصارى اللذيذ وادركوا ان المسلمين تهمهم كثيرا قبلتهم الاولى وان عوارض الضعف ظهرت عليهم موقتا وان اجسامهم مازالت سالمة والانحرافات التي تعرضوا لها لا تلبث ان تزول اذا ما قيض الله لهم رجالا صالحين منهم يمدونهم باسباب العلاج والوقاية .

ثم لنقارن بين اعمال الصليبيين واعمال المسلمين : إما الصليبيون فكانوا عاهدوا ملك الروم على ان يسلموا اليه اول بلد يستولون عليه فاستولوا اولا على مدينة ينعية ولم يسلموها اليه ولم يترددوا في اهانة قومه وسكان بلاده واطالة أيديهم بالاذى فخربوا المصانع وعبثوا بالبيع والكنائس وجعلوها طعاما للنار ولما جاؤوا الى المعرة قتلوا على رواية ميشو (١) جميع من كان فيها من المسلمين ممن لجأوا الى الجوامع واختبأوا في السراديب واهلكوا صبرا ما يزيد على مائة الف انسان في أكثر الروايات وكانت المعرة من اعظم مدن الشام وكان سكان الاطراف بعد سقوط انطاكية يعتصمون فيها . وكذلك فعلوا ببيت المقدس فقد افحشوا القتل في المسلمين حتى هلك منهم عشرات الألوف فيهم جماعة من الائمة والعلماء والعباد والزهاد . وارتكبوا كل محرم في دينهم مع المسلمين واليهود . قال مشو ايضا : كان الصليبيون يكرهون العرب على القاء انفسهم من اعالي البروج والبيوت ويجعلونهم طعاما للنار ويخرجونهم من الاقبية واعماق الارض ويجرونهم في الساحات ويقتلونهم فوق جثث الآدميين ودام الذبح في المسلمين اسبوعا حتى قتلوا منهم على ما اتفق على روايته مؤرخة الشرق والغرب

(١) تاريخ الحروب الصليبية لميشو

سبعين الف نسمة ولم ينـج اليهود كالعرب من الذبح فوضع الصليبيون النار في المذبح الذي لجاوا اليه واهلكوهم كلهم بالنار

وكان هذا ديدنهم مع اهالي كل بلد يدخلونه في الشام ، واحراقهم لدار الحكمة في طرابلس وكان فيها نحو مائة الف مجلد اكبر دليل على رعونتهم وخشونتهم فاوقدوا بما صنعوا نيران التعصب بين المسلمين والنصارى من الشاميين وما نظن المسلمين فاعلين بهم يوم ان رجع لهم الامر . انهم عملوا بقول الله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » واما هم فقد خالفوا تعاليم المسيح في الشفقة والاحسان .

والى القاريء الكريم دليـل محسوس من سيرة من سيره سيدنا عمر بن الخطاب السلطان صلاح الدين لما استرجع بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ وجد فيها مائة الف صليبي منهم ستون الف راجل وفارس عـدا من تبعهم من النساء والاطفال فابقى على حياتهم واستوصى بهم خيرا واكتفى بان ضرب على كل رجل منهم عشرة دنانير وعلى كل امراة خمسة وعلى كل طفل دينارين .

اما النتائج للعراك الذي حدث بين الغرب والشرق فقوستاف لبون يفيض فيها ويقول انها كانت عقيمة من حين غايتها الاولى وهي الاستيلاء على فلسطين فالصليبيون على ما اهرقوا من دماء وبذلوا من اموال رجعوا بعد قرنين بخفي حنين ، اما من حيث النتائج غير المباشرة في هذه الحروب فيمكن ان يقال ان منافعها عظيمة فالاختلاط بالشرق مائتي سنة كان من العوامل القوية في انتشار المدنية في اروبا وحدث ان الغاية من الحروب الصليبية جاءت على غير ما اريد منها وان هذا التناقض بين الغاية المتوخاة والغاية التي وصلوا اليها ما يماثله في التاريخ وليتمثل في ذهنه من شاء ان يقدر التاثير المشترك من احتكاك الشرق بالغرب حالة تمدن كل الشعوب التي اختلطت بالامم الاخرى ، ونحن نعرف ان الشرق

بفضل العرب كان ينعم اذ ذاك بمدنية زاهرة على حين كان الغرب غارقا في التوحش . ولم يربح الشرق باحتكاكه بهؤلاء البرابرة من الصليبيين بل خسر ونتجت له كراهة الغربيين كراهية دامت قرونا وهذا من النتائج المضرة ومن اشأم نتائج تلك الحروب اذ تاصل التعصب وعدم التسامح في العالم عدة قرون

ومن الفوائد التي عادت على الغربيين من الحروب الصليبية تحرير اصحاب الارضين من رقهم وتقوية السلطة الملكية وادخال تعديل على نظام الاقطاعات فانتقلت الثراوت من ايدي الامراء والزعماء الى ارباب الطبقات الوسطى والدنيا من اهلها فباع من باع من الكبراء وابتاع من عمل بارضه ومتجره فاغتنى واقتنى الرباع والضياع .

هذا وللمصائب فوائدها اذا ما كان المبتلى بها من ذوي الاحساس وقوة الادراك وعزة النفس فقد ولدت الشدائد رجالا افذاذاً نبغوا في فن الحرب والسياسة يتقدمهم النابغتان نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين يوسف بن أيوب ولولا الحروب الصليبية ما ظهر طغتكين نابغة السياسة والادارة ولولاها ايضا ما ظهر نوابغ الحرب امثال الكامل والظاهر وقلاوون والاشرف وعشرات من القواد والزعماء . ومن حسنات المصائب ايضا أن توفق بين مختلف ذوي السلطة فكان التضامن بين امراء المسلمين في العهد الصليبي على اتمه وربما لم تتئالف قلوبهم في عصر من العصور السالفة تألفهم في ذالك العهد العصيب .

مدينة صبرة المنصورية

بقلم البحاثة مصطفى سليمان زبيس متفقد الآثار الاسلامية بالديار التونسية

لما احتل الفاطميون افريقية سنة ٢٩٦ ارادوا اقرار المذهب الشيعي بها فكان لهذه المحاولة الاثر السيء في نفوس اهل القيروان المتشبثين بالمذهب السني وسريعا ما خاب الظن بهم بعد الاستبشار بقدومهم وتأهب الناس لمقاومتهم بعد ان ادركوا ان الدولة الجديدة ليست باحسن من دولة الاغالبة السابقة ، ازاء هذه الموجة الناقمة عليهم كان حتما على الفاطميين ان يبتعدوا عن القيروان وان يبتنوا لانفسهم مدينة يكونون فيها في مأمن من رعايا قد جاهروا بعدائهم

فسكنوا رقادة الاغلبية في بداية امرهم ثم شرعوا في بنيان مدينة المهدية فاذا ما تم بنيانها غادروا رقادة وانتقلوا اليها ولم يلبثوا حتى ثار ابو يزيد مخلد ابن كيداد الخارجي فدوخ البلاد وساعده اهل القيروان في حروبه نقمة على الدولة الجديدة ودامت الحروب دهرا وضيق الخناق على المهدية آخر مرحلة لمقاومة العبيديين وكاد ابو يزيد ان يقتحمها ويقضي نهائيا على اصحابها الا انه ولاسباب لا يمكن ضبطها . حدث ما جعل ابا يزيد يقلع عن حصاره وجيش العبيديين وراءه الى ان التقى الخصمان بموضع كان يعرف بصلب الجمل وهو فيما بين القبلة والغرب من القيروان على ميل منها فهزم المنصور الفاطمى ابا يزيد شر هزيمة وامر ببناء مدينة صبرة مكان تلك المعركة الحاسمة وسماها المنصورية باسمه فاستمر عليها الاسمان وصبرة اشهر وسبب تسميته بصبرة ما يذكره ابن حماد حيث يقول « وكان في ايام حروبه (حروب المنصور) مع ابي يزيد وقد انهزم عنه الناس وبقي معه صابة فقال لهم صبرة يا عبيد امير المؤمنين فسمي ذلك الموضع » صبرة

ولما تم بناء صبرة في سنة ٣٣٤ جعلها المنصور دار ملكه عوض المهدية

وصف صبرة المنصورية حسب ما اوردته النصوص التاريخية

ان معرفتنا لتاريخ صبرة لهي معرفة ضئيلة منقوصة جدا ذلك ان النصوص التي لدينا الا انها لا تفيدنا الافادة الكافية بحيث لا يمكننا ان نتمثل من خلالها صورة قريبة من الواقع لما كانت عليه هذه المدينة الاميرية الزاهرة التي كشفت من اجلها القيروان مدة فاتت القرن

نعم لقد جاءت الاخبار في الاشهر الاخيرة من الشرق تنبي بعثور البحاثين على وثائق جديدة عن تاريخ دولة الفواطم واتصلنا بالبعض منها على انها تقتصر على الناحية المذهبية وكم نحن في حاجة الى معرفة النواحي الاخرى ولعل الايام المقبلة تفاجؤنا بنصوص ضافية تشفي الغليـل وتطلعنا على اسرار دولة من ابرز الدول الاسلامية

وفي انتظار تلك الايام التي ليس في مقدورنا التكهن بقرب اجلها او بعده تبيدنا مادة غزيرة الفوايد هي الآثار وما تثيره من مشاهدات وملحوظـات مما تكون احيانا ابلغ واكثر اطنابا من كتاب كامل

ولنترك الآثار الى مناسبة اخرى ولنقتصر على ما وصفت به صبرة في النصوص التاريخية القليلة .

يقول ابن حوقل وقد زار افريقية في صدر الدولة العبيدية ان الشـروع في بناء صبرة كان سنة ٣٣٤ ولم ينتقل اليها المنصور بعد اتمامها الا سنة ٣٣٧ حيث جعلها قاعدة ملكه واول ما بني بها السور (في مستديرا بالطوابي على مثال سور بغداد) وقصر الخلافة والجامع (وهما في صبرة المدينة) وكان للسور اربعة ابواب ملبسة بالحدائد باب قبلي (لم يشتهر باسم معين) وباب شرقي (باب زويلة) وباب جوفي (باب كتامة) وباب غربي (باب الفتوح) وكان سور صبرة يتصل بسور القيروان بواسطة طريق مسور طوله نصف ميل اسمه الفصيل جعل في كل من طرفيه باب فمن رام دخول القيروان وكانت معه بضاعة كان لزاما عليه ان يمر بصبرة وبالفصيل لدفع ما تيسر من الاداء المفروض على بضاعته

فكان هذا سببا في اغلاق اسواق القيروان وكانت هذه الاسواق مجتمعة كلها فيما سمي بالسماط الاعظم وهو شارع طوله ثلاثة اميال يمر بالجامع الاعظم من الجهة القبلية الغربية فلما كثرت الضرايب عليها حتى صارت لا تحتمل زهد اصحابها فيها وغلقوها فامر اذ ذاك الخليفة بنقل جميعها الى صبرة فكانت ضربة قاضية على القيروان الى حد ان هاجرها اكثر اهلها وصار اصحاب الدكاكين ينتقلون على الحمير المصرية ذهابا وايابا بين متاجرهم في صبرة ومساكنهم في القيروان وكانت السياسة المسلوكة نحوهم انهم اذا حاولوا القيام على السلطان وهم بصبرة خافوا على اهلهم وعشيرتهم بالقيروان واذا راموا الثورة وهم بالقيروان خافوا على ارزاقهم ففي الحالتين لا يسعهم الا الانقياد والطاعة وتدل هذه الملحوظة على ان صبرة صارت هي الام بالنسبة للقيروان وان القيروان اصبحت ضاحية بالنسبة لصبرة لا توجد فيها غير المنازل

ودامت هذه الحال مدة طويلة ازدادت خلالها القيروان ضعفا وانكماشا وازدادت صبرة خلالها ازدهارا والشاهد على ذلك ما جاء به الادريسي حيث يقول ان الحمامات التي كانت بها ثلاثمائة حمام وهو رقم قياسي ينبي بعدد المؤسسات الاخرى وعدد السكان وما الى ذلك وكاني بمن يقول ان هذا العدد مضخم الى درجة قريبة من الوهم سيما اذا تصورنا ان صبرة هي اليوم قطعة من الصحراء لا ينبت فيها شيء وليس فيها ما يشتم منه رائحة الماء ويتساءل المتسائل باي ماء كانت تستقي تلك الحمامات ومع ذلك فالواقع ان الماء بها كان وفيرا جدا بفضل كثرة المواجل والآبار والاربطة التي تخزن المياه الضائعة ويوجهها نحو المصالح عوض ان تغمر السباخ وتندفع في البحر بدون ان ينتفع بها كما انهم كانوا يجلبون الماء من العيون بواسطة الحنايا واعظمها حنايا الشريشيرة التي بناها المعز الفاطمي لتزويد قصوره بصبرة بماء غزير للشراب والبساتين والبرك

ولنستدل بشاهدين على ما ذكرنا الاول ما انشده علي بن محمد الايادي مادحا المعز (الفاطمي) وواصفا قصره « دار البحر »

ولما استطال المجد واستولت البنى على النجم واشتد الرواق المروّق

بنى قبة للملك في وسط جنة لها منظر يزهى به الطرف مونق

معشوقة الساحات أما عراصها فخضر واما طيرها فهي نطّق

تحف بقصر ذي قصور كانما ترى البحر في ارجائه وهو متأق

له بركة للماء ملء فضائه تَخُبُّ بقصريها العيون وتعنق

لها جدول ينصب فيها كانه حسام جلاه القين بالارض ملصق

لها مجلس قد قام في وسط مائها كما قام في فيض الفرات الخورنق

كأن صفاء الماء فيها وحسنه زجاج صفت ارجاؤه فهو ازرق

اذا بث فيها الليل اشخاص نجمه رايت وجوه الزنج بالنار تحرق

وان صافحتها الشمس لاحت كانها فِرِنْدٌ على تاج المعز ورونق

كأن شرافات المقاصر حولها عذارى عليهن الملاء المنطق

يذوب الجفاء الجمد عن وجه مائها كما ذاب اهل الصحصحان المرقرق(١)

والشاهد الثاني ماقاله في عين الموضوع عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي

يا رُبَّ فتيان صدق رحب بينهم والشمس كالدنق المشوق في الافق

مرضى احائلها حسرى شمائلها تروح الغصن الممطور في الورق

معاطيا شمس ابريق اذا مزجت تقلدت عقد مرجان من النزق

عن ماجل طافح بالماء معتلج كأنما نفسه صيغت من الحدق

تضمه الريح احيانا وتفرقه فالماء ما بين محبوس ومنطلق

من اخضر ناضر والطل يلحقه وابيض تحت فضي الضحى يقق

تهزه الريح احيانا فيمنحها للزجر خفق فؤاد العاشق القلق

كأن حافاته نطقن من زبد مناطقا رصعت من لؤلؤ نسق

---

(١) انظر زهر الآداب ج ـ ١ ـ ص ١٧١

كان قبته من سندس نمط حسناء مجلوة اللبّاب والعنق
اذا تبلج فجر فوق زرقته حسبته فرسا دهماء في بلق
او لا زوردا جرى في متنه ذهب فلاح في شارق من مائه شرق
عيشة كملت حسنا وساعدها ليل يمدد اطنابا على الافق
تجلى بغرة وضاح الجبين اه ما شئت من كرم واف ومن خلق

وما هذا قصر « دار البحر » الاواحد من مجموعة قصور تفوق بعضها بعضا ضخامة وحسنا . ان اول قصر بني بصبرة هو . كما ذكرنا سابقا . قصر الامارة بناه ابو الطاهر المنصور الفاطمي زمن بنيان السور والجامع وكانه لم يزد على ذلك شيئا الى ان خلف المعز أباه على العرش فشرع في تشييد القصور والمجالس والمناظر فمن جملة ما شيده

– حجرة التاج
– مجلس الكافور
– مجلس الريحان
– حجرة الفضة
– الايوان
– المعزية
– الخورنق
– دار البحر

هذا ما شهر من بنيان في عهد الخلافة الفاطمية بالمغرب فزاد عليها الامراء من بني زيري بن مناد الصنهاجي بعد انتقال الدولة الى القاهرة

– قصرا داخل الصور بناه المنصور الصنهاجي
– قصراً خارج القصر بناه المنصور الصنهاجي ايضا
– الخورنق
– الايوان

— منظرة قال فيها القفطي « في سنة ٤١٧ ابتنى المعز بن باديس منظرة في منزله بصبرة وهي منظرة جليلة انيقة يقول فيها الحسن بن رشيق من قصيدة امتدح بها المعز .

وحللت من علياء صبرة موضعا أكرم به مـن موضـع ومكان

(انظر كتاب انباء الرواة للقفطي ج . ١ . ص ٢٩٩ طبع القاهرة ١٩٥٠)

والقصور الثلاثة الاخيرة بناها المعز بن باديس الصنهاجي وقد ورد اثنان منها (الخورنق والايوان) في قائمة قصور سميه المعز الفاطمي أيضا والظاهر انهما لاحد المعزين دون الآخر لكننا اوردناها في القائمتين لاننا اعتمدنا مراجع مختلفة تنسبهما وبصراحة تارة لهذا وتارة لذاك . ازاء هذه الذبذبة يقف الباحث محتارا مرتبكا والاضطراب ناجم عن عدم احتياط المؤرخين الاول حيث لم يميزوا المعز الفاطمي من المعز الصنهاجي حتى توهم بعض الناقلين انهما ملك واحد سيما وان الاثنين عاشا في صبرة وان عصر كل منهما اصبح في ذهنهم عصرا واحدا

ومهما يكن من الامر فان صبرة ازدهرت في العهد الفاطمي على يد المعز الاول الا انها وصلت الى ذروة الازدهار مع المعز بن باديس فقد وصف ابن عذاري حياة البذخ والترف في ايامه وصفا مدهشا ولا غرابة في ذلك لان الشيء اذا بلغ منتهاه تدرج نحو الانحطاط وفعلا فان المعز بن باديس قد شاهد في النصف الاول من ولايته بلوغ صبرة اسمى درجة وفي النصف الثاني ذاق عجرم الهوان وامر بنفسه بتهديم مدينة ابائه قبل الخروج الى المهدية فلم تمر سنة ٤٥٢ حتى لم يبق أثر لقصورها واسواقها سوى الاطلال البالية والخرايب الهامدة

هذا منتهى ما وصلتنا من الاخبار عن صبرة وهي كما قلنا طفيفة جدا ولعل في فرصة اخرى نوالي الكلام عن مدينة صبرة بحول الله

* جوامع القطر الليبي

بقلم الاستاذ عثمان الكعاك

جامع تاجورة – تاجورة بلدة واقعة على بعد ١٢ كم من مدينة طرابلس العاصمة في الجنوب . وقد اشتهرت بانها عاصمة الاتراك في اوائل الفتح العثماني وانها القيروان الذي كان يشن منه العرب والاتراك الغارة على الاسبان حتى قضوا عليهم القضاء المبرم وكانت ايضا المركز الكبير والمعقل العظيم الذي كان يلتجئ اليهما سكان البلاد عندما تشتد عليهم وطاة فرسان مالطة من جانب البحر . ومن هناك ايضا كانوا يستانفون القتال لرد هجمات اولائك اللصوص البحريين ورد كيدهم في نحرهم . فهذه البلدة . على صغرها . مركز استراتيجي من الطراز الاول .

وكان زعيمها الاكبر في هذا العصر الذي نتحدث عنه هو مراد آغا كان من كبار الفاتحين الاتراك ومن اساطين الاداريين المحنكين ومن رجال الدولة السيوسيين وممن ابلوا في الاسلام البلاء الحسن احتسابا لوجه الله تعالى لا لغاية دنيوية مطلقا .

وقد بنى في تاجورة جامعا كبيرا نحسب انه في الآن نفسه معقل فهو قد شيد بنيانه ورفع اركانه بما جعله حصنا حصينا . ورايناً في جامع تاجورة هو رايناً في جامع القيروان . فكلاهما قد كان جامعا وحصنا لا جامعا ليس الا . وقد زرنا جامع تاجورة منذ عامين ودرسناه عن كثب فثبت لدينا ما نقول .

تدخل بلدة تاجورة فتجد ساحة كبيرة وفي الطلع اليمنى من الساحة ترى جامع مراد آغا او جامع تاجورة . وقد اسسه مراد آغا المذكور في القرن العاشر الهجري .

---

* راجع المقال المنشور في الجزء الاول عن طرابلس بقلم الاستاذ

يقول الباحثون الايطاليون في كتبهم ان مراد آغا اصله من مدينة راقوزة بايطاليا وانه سبي منها صغيرا ونقل الى الاستانة العلية حيث ربي تربية اسلامية صحيحة وعسكرية بحرية متينة فتخرج في ذلك احسن تخرج . ثم انتقل الى طرابلس في خدمة الغازي الكبير خير الدين . فظهر من نبوغه في الحروب البحرية والبرية ومن تضلعه بالشؤون الادارية وسياسة الشعوب ما جعل خير الدين ينعم عليه بالولاية بعد ان شارك في فتح تونس مشاركة واسعة النطاق . وصار بالنهاية والي تاجورة وسيدها . فانشأ بها جامعه هذا .

ويروى الايطاليون ايضا ان الذين اقاموا بنيانه اسرى من الايطاليين بعد ان هندس مثاله مهندس منهم . ونحن اذا كنا نستبعد ان المهندس ايطالي فلا نستبعد ان الهندسة المعمارية التى بني الجامع وفقها هى من الذوق العربي الصقلي الذي يمشى مع الارتفاع اكثر مما يمشى في السطح فالمعمار شبيه بمعمار قصر العريزية وقصر القبة وقصر الفوارة من بناء العرب في صقلية . لان الجملة البنائية ضخمة جليلة تكاد أن تكون هرمية الشكل مقطوعة . وليس في ابنية طرابلس ما يشبه هذا النمط . لا في جوامعها الموحدية ولا في جوامعها التركية .

وطول هذا الجامع ٤٠ مترا في عرض ٣٢ م . وجدرانه الخارجية مرتفعة جد الارتفاع ملساء لمنع كل تسلق وزحلقة كل اصابة وفي منتهى أعلاه نوافذ صغيرة منيعة . وتتركب من الداخل من سبع بلاطات متجهة من الشمال الى القبلة ومن تسع مساكب جملة اعمدتها ٤٨ عمودا من اجمل المرمر والرخام مما صنع بقصر الجامع او جلب اليه من خرائب لبدة (لبستيل ماغنا) الواقعه في الجنوب من تاجورة . وهذه الاعمدة خالية من التيجان وانما عقدت عليها اقواس عربية الشكل رائعة الجمال . بنيت فوقها اقواس ثانية على نظام معمار جامع قرطبة اي ازاج فوق ازاج . والاقواس نصف دائرة كاملة من نوع مسمار الوسط . هذه الاقواس غير مختومة بقباب حسب العادة وكما هو الشان في المعمار الاندلسي ولكنها مختومة بتدميس من نوع الترابيع وهذا اقرب الى الذوق الصقلي العربي . واقواس الاطراف من جانب الجدران لا تعتمد على الجدران نفسها ولكن على

صناديق مبنية بارزة من الحيطان بروزا افقيا .

وعلى طول الجدار الشرقي يرتفع جدار ثان الى علو ٦ م وفي الفسحة بين الجدارين قد جعلت ١٤ غرفة صغيرة او محاريب اما لتكون مرافق المجاهدين واما لتكون مآوي للمحاربين . وفي اعالي الجدران ممشى في نفس الحائط على طول الكوى القصد منه ان يقف عليه المحاربون وان يتخذوا من الكوى شرفات يصوبون منها النيران على المحاصرين

والانطباع الحاصل من جملة هذه البناية المعلمية انها جميلة جليلة . وقد زادها جلالة خلوها من الزخرف والعلم بانها دار تقوى وجهاد . وقد تحدث عن تاجورة وجامعتها صديقنا البحاثة الكبير الاستاذ عمر الباروني مدير مدرسة الصناعات بطرابلس في كتابه الاخير عن تاريخ طرابلس وأعمال فرسان مالطة ؛ فاحسن القول واسهب في البسط واطنب في الدراسة مما جعلنا نؤمن بان مستقبل الثقافة في ليبيا مستقبل زاهر باذن الله تعالى .

اجدادبية — من المعلوم ان برقة كانت تسمى في العصر اليوناني قيرنا. والى الآن يسميها الافرنج سيرينايكا نسبة الى مدينة سرينه او قرنا او قرنه او الشحات التي كانت عاصمة القطر في العهد اليوناني .

ثم لما فتح المسلمون برقة صارت العاصمة هي مدينة اجدادبية وكانت برقة منذ القرن الاول الى آخر حكم الاغالبة بالقيروان يتنازع السيادة فيها التونسيون والمصريون . فلما آل الامر الى بني عبيد الفاطميين استقرت تبعيتها للقيروان واتخذ منها الفاطميون معسكرا ومذبة لفتح مصر لا سيما في عصر المعز لدين الله الفاطمي . وفي مدينة اجدادبية جامع كبير يدل شكله الحالي على انه من بناء الفاطميين . والظاهر هو ان الفاطميين قد وضعوا فيه اليد الاخيرة لجعله على شكله الحالي . ويبدو لنا ان الجامع اقدم من العهد الفاطمي . وانه كان في اول الامر مسجدا بسيطا يرجع الفضل في تشييده الى عمرو بن العاص حين الفتح فهو من اقدم مساجد الاسلام . وهو صنو مسجد الناقة بمدينة طرابلس نفسها . والمروي عن مسجد الناقة هذا ان ناقة عمرو بن العاص أناخت به هناك . فبنى مسجد حيث هو فكان اول مسجد انشيء بمدينة طرابلس

ثم ان الاغالبة قد زادوا في مسجد أجدابية زنادات ، الا انها لم تعد كافية في العهد الفاطمي لازدياد عمران المدينة ولغايات سياسية كانت في نفس الفاطميين وقد تحدثنا عنها ، فتوسعوا فيه او اعادوا سبكه حتى صار على شكله الحالي ، وهذا الشكل يرجع بنا الى النصف الاول من القرن الرابع وهو قدم جليل محترم ، قل من المساجد ما يتمتع به .

والمسجد في ذاته مبني على انقاض كنيسة بيزنطية وبحجر منحوت مثل حجر الجامع الاعظم بالمهدية .

ومدينة اجدابية بلدة صغيرة الآن وانما كانت عظيمة الاهمية في العهد الفاطمي لانها تقع موقعا متوسطا بين مصر وافريقية وبين البحر المتوسط وقلب الصحراء فهي عقدة اساسية لجميع القوافل وملتقى الطرق الاصلية المتحكمة في عامة المسالك وقد كانت دار علم في العصرين الفاطمي والصنهاجي تحدث عنها الجغرافيون امثال البكري والادريسي وياقوت الحموي واسهبوا في وصفها وذكر ياقوت البعض من علمائها ، ثم صارت في اوائل هذا القرن مركز السيوسيين ولاسيما السيد محمد ادريس بن محمد المهدي السنوسي فاتخذ منها مركز السنوسية ومقر العائلة الكريمة وعندما اراد الايطاليون بسط يدهم عليها في فبراير سنة ١٩٢٣ قاوم السنوسيون اشد المقاومة وابلوا البلاء الحسن .

المرج المرج ويسميها الافرنج بارتشي والقدماء برقة واليهـا ينسب القطر كله ، هي بلدة واقعة في الجنوب من بنغازي . كانت في الاصل بلدة يونانية ثم صارت رومانية بعد الاحتلال الروماني ، وفتحها عمرو بن العاص في طريقه الى طرابلس وضرب اتاوة على اهلها ، وقد صارت في العصر الاسلامي جملة حدائق غناء وبساتين فيحاء فدعيت بالمرج لعمرانها .

وذكر البكري والادريسي عن المرج انها بلدة كثيرة الزروع وباسمة البساتين قوية التجارة مع مصر .

(يتبع)

المجلة الزيتونية

رئيس التحرير :
محمد المختار بن محمود
المفتي الحنفي

المدير
محمد الشاذلي ابن القاضي
المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

الادارة نهج ابن محمود رقم ٦ بتونس تليفون ٤٦ ـ ٢٩

قيمة الاشتراك عن سنة الفا فرنك بخصم الربع لتلامذة المعاهد العلمية

ثمن الجزء : مائتا فرنك



تونس في
١٩٥٣ - ١٣٧٢